المحاضرة الثامنة

العنف اجتماعيًا

أولاً رؤيـة القسم :

تحقيق التميز لكي يكون إحدى صروح التعليم الجامعي المميز في مجال علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية ويهدف القسم برؤيته التطلعية إلى استخدام المهارات المعلوماتية وتطبيق أفضل الوسائل التكنولوجية في المهارات البحثية والتفكير في صور نقدية وموضوعية لمواكبة متطلبات الاعتماد الأكاديمي من قبل المؤسسات العلمية.

ثانياً رسالـة القسم :

إعداد المتخصصين المؤهلين في مجال علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية مزودين بالمعارف والمهارات والخبرات المهنية الحديثة المتمثلة في المهارات المعلوماتية والتفكير النقدي ومهارات البحث والاتصال وتطبيقاتها في مجال علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، كما يعمل القسم على التطوير والمساهمة في نشر المعرفة الاجتماعية وتقديم الاستشارات والتدريب والخدمات الاجتماعية للمجتمع السعودي ومؤسساته.

أهداف المقرر :

¨ أن يتعرف الدارس على مفهوم علم اجتماع الأسرة و موضوعه

¨ أن يستنتج الدارس نظام الأسرة الاجتماعي وعلاقته بالنظم الاجتماعية الأخرى كالزواج و القرابة

¨ أن يتعرف الدارس على أحدث النظريات في التنشئة الاسرية

¨ أن يدرك الدارس أهمية التفاعل الأسري الاجتماعي في عملية التنشئة الأسرية

¨ أن يميز الدارس بين مفهوم المشكلة و الأزمة الزوجية ¨ أن يتمكن الدارس من تحليل أنماط العنف الأسري

¨ أن يدرك الدارس تأثير الضغوط الإجتماعية على الأسرة

¨ ن يكتسب الدارس مهارات التعامل مع المشكلات التي تواجه الأسرة وكيفية علاجها

أهداف المحاضرة

- أن يتعرف الدارسون على العنف ومعناه اجتماعيا وثقافيا.
- أن يفرق الدارسون بين أنواع العنف.
- أن يستنتج الدارسون ضرورة دراسة قضايا العنف في المجتمع سوسيولوجيًا .
- أن يكتسب الدارسون مهارات عامة مثل : التواصل الفعال، التعلم الذاتي ، العرض الفعال ، فن المناقشات والحوار .

عناصر المحاضرة

- العنف ظاهرة اجتماعية.
- العنف ثقافيًا.
- بعض خصائص العنف.
- قوانين العنف.

1/أ- العنف ظاهرة اجتماعية

يتميز المجتمع الحديث بالعنف البشري المتفاعل مع الأحداث والمشكلات الاجتماعية التي تفرزها إيقاعات الحياة المدنية والحضرية والصناعية ولكي نعرف هذه الظاهرة على حقيقتها علينا أن نقف على حياة الإنسان أولاً لأنه هو المتصرف وهو المعتدى عليه معاً. وفي هذا القول نستعين بمقولة عالم الاجتماع الأمريكي المعاصر (إيرك فروم) عندما قال في الإنسان المعاصر " بأنه وصل في تطوره العقلي إلى الحد الأعلى بينما تراجع في غرائزه إلى الحد الأدنى (Wilber,2005.p4) يشير هذا القول إلى أن الإنسان يحمل معه غرائز وراثية هي ذاتها عند الحيوان مثل غريزة الجوع والعطش والجنس والخوف وسواها، إلا أنه يمتلك في ذات الوقت عقلاً (وهي نعمة من الباري عز وجل أفرد الإنسان فيها وميزة عن الحيوان) يستخدمه للتفكير والاستدلال.

ومنذ ظهور الإنسان على وجه الأرض وجدنا نمو عقله وتطور تفكيره من خلال تفاعله مع محيطه الطبيعي والاجتماعي، ومع نمو مجتمعه برزت ظواهر اجتماعية سلبية وإيجابية لم يتصرف الإنسان معها تصرفاً حيوانياً بل عقلياً، وهذا يعني أن عقله قام بتهذيب غرائزه الموروثة ووجهها نحو الأهداف الإنسانية والاجتماعية. أي قلص حيوية الغرائز وغذى حيوية العقل بالتفكير المفيد والمثمر.

وهذا ما يجعلنا لقول بأنه على الرغم من كل ذلك فإن المجتمع الحضري لا يخلو من السلوك العنفي مهما تحضر وتمدن وتعقلن في سلوكه، وهذا ما يجعل الإنسان الحضري يتصرف تصرفاً عنيفاً بعيداً عن الضوابط والأحكام العقلية وفي الواقع يميل عقل الإنسان نحو منح إيقاعات الحياة اليومية موجبات معقدة وتفاسير عميقة منطلقاً بذلك من إدراكه الذاتي لها(عن طريق النظر أو اللمس أو السمع أو الشم أو التذوق) علاوة على ذلك فإنه يدرك ما يعلم وما يحصل حوله وله، ويعرف هدفه في الحياة (أي أنه لا يهيم في الحياة ويجوب الفيافي والبوادي بدون جدوى) بل له مرامي وأغراض في عيشه في الزراعة أو الصناعة أو الري أو البناء وسواها ويدرك أيضاً قوته العقلية والعضلية ويعرف كذلك بأنه فإن غير خالد (أي مصيره الموت). وعارف أيضاً بوهن قوته ومحدوديتها. جميع هذه الصفات تجعله مختلفاً عن الحيوان (عقلاً وسلوكاً) لذلك وفي ضوء ذلك لا يمكن القول بأن العنف عند الإنسان هو نفسه عند الحيوان أي أن عنف الحيوان والإنسان سيان. هذا غلط لأن عنف الإنسان له مسبباته الاجتماعية وليس للغريزة أي دور أو مكان في ذلك. ورب سائل يسأل ما هي تطبيقات وتبعيات هذه التشكيلة الفريدة في تطورها العقلي بدرجة العالية وتهذيب غرائزه بشكل مستمر؟ هذا في الواقع انسجام متنافر فرضه

وفي الجانب الآخر، إذا استعرضنا تاريخ البشرية نجدها غير مستقرة بشكل مطلق بل بشكل نسبي إذ تعترض حياتها عوارض عديدة مقلقة ومربكة لا تجعل من حياتها الاستكانة والهجوع، بل حتى الإنسان ذاته هو المخلوق الوحيد من بين الحيوانات الذي لم يتكيف بشكل تام مع محيطه بل يتعاكس ويتشاكس معه من أجل تغيير به لصالح أفكاره ومصالحه ليصل إلى تحقيق راحته وسعادته، وأحياناً يغير ذاته لكي يحقق ما يريد وهذا كله يؤدي إلى نمو معرفته ويعزز ثقته بنفسه ويحقق له الارتياح في عيشه. مع ذلك فإن هناك نمواً في معرفته عن نفسه وعن الطبيعة التي يعيش فيها، ليس هذا فحسب بل لديه تنامٍ في إحساسه بعزلته عن الآخرين

وجوده إنما إشباع هذه الحاجات تُلبى وتشبع بعدة طرق وليس بطريقة واحدة، وذلك راجع إلى الظروف الاجتماعية التي يعشها الإنسان إذ إن كل ظرف يبلور أسلوباً خاصاً به يدل أو يمتلك منافذ خاصة لإشباع الفرد الذي يمارسه.

هذه السبل أو الطرق المختلفة تظهر على شكل انفعال أو غضب أو عاطفة أو حب أو ميل أو البحث عن العدالة والكفاح في سبيلها والاستقلالية الشخصية والسادية والمازوكية والتخريب، إنها جزء من صفات الإنسان لا يخلو منها أية فرد لأنها جزء من مشاعره ووجدانه المتفاعل مع مؤثرات بيئته ومحيطه الاجتماعي فهي إذن جزء من الطبيعة البشرية إذ أن جميع أنواع البشر بغض النظر عن عرقهم ورسهم وقوميتهم ودينهم وموطنهم- يشتركون في هذه الصفات إنما اختلافها هذا يرجع إلى اختلاف الظروف التي يعيش فيها الإنسان لكنها واحدة في الجوهر وهذا هو ما يسمى بالتناقض الظاهري ذي الجوهر المنسجم Paradox. لا جرم من تناول

موضوع الحكومة (في هذا السياق) التي تكون وظيفتها متمركزة في المحافظة على سيادة القانون المرعي وتدعيم أو تعزيز النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي نصاً وشكلاً، يتم ذلك من خلال رجال الشرطة والأجهزة القضائية والإصلاحية إلا أن هناك جرائم تقترف لكنها لا تتضمن ضحايا أي جرائم بدون ضحايا مثل

وهناك حالة وجود قواعد قانونية كثيرة ودقيقة تثقل كاهل المواطن بها وبقيودها بحيث تجعل المواطن متذمراً منها ومن القائمين عليها. بجانب ذلك هناك حالة نرى ضرورة لتناولها في هذا السياق لأنها مرتبطة بالعنف وهي حالة الضجر أو السأم أو الملل Boredom مفاد هذه الحالة أن الحياة لا تتضمن دائماً وبشكل مستمر السعادة الغامرة في جميع مناشطها لذلك لا يكون الفرد العادي مسروراً ومبتهجاً دائماً وفي كل الأوقات بل يصاب بشعور الملل والضجر بسبب ركود المناشط الاجتماعية أو بسبب تكرار نفس الأحداث بشكل رتيب، الأمر الذي يجعل الفرد الذي يعيش في ظلها مكتئبا ومتشائماً، لا ينظر إلى الحياة نظرة متفائلة وهذا ما يجعل رؤيته للعالم الخارجي سوداوية ومتشائمة. مما تجعل منه شخصاً مستسلماً لا يميل للتحدي وعندها يلجأ إلى ممارسة سلوكيات عنيفة تعبر عن تشاؤمه وعدم الرؤية الوردية للعالم الخارجي.

لذا يكون الناتج عن الضجر والملل سلوكاً يمثل العنف لأن الفرد المسرور والمبتهج والمشغول بأعمال مسلية أو جادة لا يشعر بالممل أو الكلل أو الضجر وإذا حصل ذلك فإن انزلاقه في مهاوي العنف يكون نادراً أو من باب المصادفة لأن الضجر، يولد بالعنف الذي لا يحصل بغيابه، حيث يشعر الفرد بأهميته عندما ينخرط بالأنشطة الاجتماعية أو التجارية أو السياسية اليومية التي تنبض بها الحياة لدرجة أنه يشعر بأهميته عندما يمارس عنفه فيها، إذ يعثر على صورته المؤكدة على ذاته وتثبتها في أعين الآخرين ويلمس قوته التي يتمتع بها. معنى ذلك أن السلوك العنفي يقدم خدمة إدراكية للفرد وهو في وسط الآخرين المتفاعل معهم وأن بعضاً من أهدافه الشخصية لا يستطيع الوصول إليها أو تحقيقها إلا عن طريق ممارسته للعنف مثل التمرد أو المعارضة أو التركيز على أفكاره والتمسك بها عند تفاعله مع الآخرين. وإذا أردنا معرفة سلوك الفرد العنفي علينا أن نتتبع خلفياته وامتداد جذوره المرتبط بها والتي تغذيه لكي ينمو ويترعرع.

الجذر الرئيسي له هو القوة power التي تبدأ من القوة الجسدية وتمر بالتعبيرية وتسري في التأكيدية والإثباتية والعدوانية لتصل إلى العنف. أي أن هذا الجذر الرئيسي له فروع متفرعة منه تمتد بين التفاعلات والعلاقات والنسيج الاجتماعي الذي يعيش في وسطه الفرد. لتوضيح هذه الصورة التعبيرية نفصلها كالآتي:

1- **الإقبال على القوة power to be:** نجد هذه الحالة عند الطفل الرضيع الذي يريد شيئاً ولم يستطع أن يناله إذ يبدأ بتحريك يديه ورجليه بقوة معبراً عن حاجته له أو إذا كان منزعجاً من شيء فإن تعبيره عن عدم ارتياحه لإثارة انتباه المحيطين به، وإذا لم يستجب له من المحيطين به فإن قدرته على النطق

2- إثبات الذات **self affirmation**: يعني هذا الجذر أن أي فرد سواء أكان طفلاً أو صبياً أو راشداً يكون راغباً في إبراز ذاته في مجال الرأي أو العلاقة أو المكانة أو الدراية أو المعرفة أو أي شيء يتباهى به أمام الآخرين ويعتبر هذه الرغبة صورة من صور قوته الاجتماعية أمام الآخرين لتعزز مكانته ودوره بينهم، تبدأ هذه الحالة منذ طفولة الإنسان وتنتهي بانتهاء حياته.

أي تستمر معه طول حياته، إنها في الواقع رغبة كامنة في لا شعوره لكي يكسب التمييز وأحياناً يكافح ويثابر ويجتهد حتى يلفت الانتباه ونظر المحيطين به ليعرفوا مؤهلاته أو مهاراته أو ثقافته أو لباقته كإحدى صور إظهار قوته أمامهم، والأمر يزداد إصراراً إذا وجد صداً ومنعاً من أحد يعيق إثبات ذاته.

3- تأكيد الذات **self-assertion**: يحصل هذا عندما يواجه الفرد شخصاً ما يقوم بالتعتيم عليه أو بمعارضته أو بالتقليل من شأنه أو أنه ضده فإنه يتصرف بتصرفات قد تكون غريبة وغير سوية من أجل جلب انتباه و أنظار الآخرين له ليؤكد ذاته من خلال هذا التصرف الغريب.

4- العدوان **aggression**: يقع أو يحصل عندما يجد الفرد بأن تأكيده لذاته ممنوعة أو مكبوتة أو مقموعة أو مكبوحة لفترة طويلة من الوقت من قبل شخص أو مجموعة أشخاص عندئذ يستخدم قوة مؤثرة أقوى بكثير من قوة تأكيد الذات والعدوان وقد يحصل على شكل الذهاب إلى مكان آخر أو أن يمارس مع مواقع اجتماعية ثانية أي لا ينحصر العدوان في مكان العدوان بل يذهب إلى مجالات أخرى وقراره في إنزال العدوان أو العداء الذي منع أو كبت أو كبح تأكيد ذاته. أنه سلوك قوي وعنيف.

5- العنف **violence**: عندما يصل الفرد إلى الباب المغلق في إثبات وتأكيد ذاته وأن عدوانه لم يقدم له شيئاً فإن العنف يكون التصرف الأخير لممارسته مع ذلك الفرد الذي منع أو قمع تعبيره عن ذاته. والعنف غالباً ما يمارس على

هكذا يتبلور الفعل العدواني عند الإنسان الذي يرجع بالدرجة الأساس إلى عدم إثبات الذات والتعبير عنها. بمعنى أن الشخص القادر على إثبات ذاته فكرياً أو مهنياً أو علمياً أو رياضياً أو فنياً لا يكون عدوانياً لأنه أثبت ذاته وأكد عليها أمام العديد من الناس وبالذات أمام أقرانه ومعارفه وزملائه. أما إذا لم يستطع إثبات ذاته و يمنع من ذلك أو يحارب أو يعارض ولا يسمح له بإثبات ذاته فإنه من باب تحصيل حاصل أن يتصرف تصرفاً عدوانياً أنظر شكل رقم -1- يوضح العوامل الرئيسية للتصرف العنفي.

1- الضجر والملل ← يؤدي إلى العنف
2- منع إثبات وتأكيد الذات ← يؤدي إلى العنف
3- حجب أو كبح التعبير عن الذات ← العنف
4- التحكم الغريزي ← العنف
5- العمل ← اللاعنف
6- إثبات وتأكيد الذات ← اللاعنف
7- التعبير عن الذات ← اللاعنف
8- التحكم العقلي ← اللاعنف

العنف ثقافيًا

درجنا ودرج من قبلنا على تأويل السلوك العنفي على أنه تصرف فردي مدان يحصل بين متفاعلين (فردين) ناتج عن دوافع مقصودة ومثارة من مثيرات محيطية وبشرية.

لكن هناك عنف يحصل جماعياً وليس فردياً تعززه ثقافة المجتمع بشكل مشروع ولا يكون مداناً. وهناك عنف فردي يتغنى به الفرد ويعشقه عاطفياً كمتنفس وجداني وهناك أيضاً عنف محبب ومعزز من قبل أفراد النسب القرابي الواحد

لذلك لا يوجد تعريف واحد له بل تعاريف متنوعة ومتباينة لأنه منتج اجتماعياً وثقافياً وقانونياً. فرجال القانون يرونه على أنه خروج عن القواعد القانونية المكتوبة ومقترن مع الإيذاء الجسدي والمادي والتفكير المسبق له (أي لا يكون عفوياً) معنى ذلك أنه يكون مقصوداً سواء كان على الصعيد الجسدي أو اللفظي أو السلوكي الذي يأخذ أسلوب السخرية والاستهزاء من ممارسة عادة ثقافية أو لبس طراز معين لفئة ثقافية خاصة أو طائفة دينية معينة. فمثلاً ارتداء المصري والسوري

والجدير بذكره في هذا السياق أن هذه المعايير الثقافية تمثل الآداب العامة والأعراف الاجتماعية والنوامس الثقافية وجميعها غير مكتوبة أو مدونة في كتب رسمية بل متداولة بين الناس، وتنقل من جيل إلى آخر عن طريق المشافهة بواسطة تنشئة الوكالات الاجتماعية (الأسرة والمدرسة والمسجد والجيرة) تلزم أبناءها الأخذ بها وممارستها في حياتهم اليومية عند التعامل مع الآخرين من أبناء ثقافتهم أو أبناء ثقافات أخرى، والجميع يمارسها دون معارضة أو تردد بل بشكل تلقائي وعفوي تام لا يستطيع أي فرد من أبناء هذه الثقافة التنصل منها أو التهرب منها بل الجميع يخضع لها بغض النظر عن اختلاف مواقعهم المهنية والأداء الوظيفي والكم المالي والتحصيل الدراسي والحجم الأسري والنوع الجنسي وكل من يخالفها يعد منحرفاً عنها في نظر أبناء جلدتهم.

وفي المجتمعات البدائية وغير الصناعية (التقليدية والمحافظة) يكون الأفراد فيها مرتبطين بالرباط القرابي- الدموي الأسري الممتد وما يأتلف معها من أسر ممثلين بذلك قبيلة أو عشيرة تعكس الرباط القرابي المتصف بالمصاهرة والتزاوج.

أي أن الأسرة الممتدة في هذه المجتمعات ترتبط ارتباطاً ميكانيكياً مع أسر ممتدة أخرى ذات صلة نسبية (نسبة إلى النسب القرابي) وليس ارتباطاً مصلحياً أو ظرفياً لأن النسب القرابي يشكل محور هذه المجتمعات الذي يلزم جميع أفراده

فالعنف هنا يكون مبرراً عرفياً وقيمياً سلفاً ولا يعد إيذاءً بل يمثل التزاماً ميكانيكياً بمعايير عشيرته وفخراً في ممارستها وهذا ما نشاهده في مجتمعنا العربي في حالة الثأر أو القتل غسلاً للعار الذي يعتبر التزاماً بمعايير وقيم الجماعة الاجتماعية وتعلقاً بها وبالمقابل يحصل القاتل على احترام أكثر وتقدير أجزل يضرب به المثل الأمثل ولا يعتبر مجرماً بل هو شهم في نظر أفراد عشيرته أو مجتمعه المحلي. وأن أية انحراف سلوكي يحصل ضمن الأسرة الممتدة أو العشيرة أو الجماعة القرابية يتم معالجته من قبل الأقارب المباشرين مع الجاني أو المنحرف.

مثل هذا التعزيز والتبرير الثقافي للعنف غير سائد في المجتمعات الصناعية وذلك بسبب عدم وجود روابط قرابية تلزم الجميع الأخذ بها والالتزام بها، لأن هناك تنظيمات ضبطية أمنية جيدة الأداء تستطيع حماية الفرد من أخيه الفرد والدفاع عنه بدلاً من الدفاع هو عن نفسه. كل ذلك جعل هذا التعزيز والتبرير غير موجود فيها إذ إن تعقيدات المجتمعات الصناعية المتقدمة تتطلب ضوابط قانونية صارمة وحادة تطبق على الجميع وتعامل الكل بالتساوي وبالعدالة القانونية على الرغم من معرفتها بوجود روابط عرقية - رأسية عند بعض الجماعات الأثينية.

بعض خصائص العنف

1- يتصف بخاصية تمثل باكورة مستخلصة من مشاعر فظة وأحاسيس قاسية وأفكار سلبية تبلورت عن تفاعل حاملها مع آخرين لا يضمر لهم الخير بل معادي لهم أو مخاصمهم بسبب تصادم أو تعارض مصالحه معهم. بحيث لا يجد الراحة أو السعادة ما لم يسئ لهم أو يجرحهم نفسياً أو جسدياً أو اجتماعياً، تلك التي لا يتم شفاؤها بسرعة ولا تعالج بسهولة. معنى ذلك أن العنف يصدر عن شخص معادٍ يضمر العدوان أو الإيذاء لشخص يبغضه ويكن له كل الحقد والضغينة والشر. أي أنه غير متلائم أو متوائم معه بسبب تقاطعه معه أو تضارب مصالحه أو أفكاره مع مصالحه أو أفكاره. وإزاء ذلك يتطلب إيقاف ممارسة العنف وكبحه وعند عدم كبحه أو صده، فإن روح العداء سوف تستمر وتضعف إمكانية الود بينهما.

2- الخاصية الثانية للسلوك العنفي هي أنه يتصف بالإدمان. أي أنه يشبه عقار الكوكائين. بمعنى أن الشخص الذي يأخذ الكوكائين لكي يتخدر أو يخرج عن وضعه النفسي أو يخرج من عالمه الواقعي ليعيش في عالم الخيال البهيج لا يعاني أو يقاسي من ظروف شاذة أو حرجة كالتي موجودة في محيطه المعاش وهو الشخص العنيف في سلوكه أو الذي يعتمد عليه في تعامله مع الآخرين أو في تحقيق احتياجاته وطلباته أو الوصول إلى أهداف مراده أو لكي يشعر بوجوده بين الآخرين. أقول أن الانخراط في ممارسة السلوك العنفي يمنح صاحبه ممارسة الراحة والنشوة لأنه (أي العنف) يمثل القناة الجيدة عنده

3- العنف هو أحد الخيارات المتاحة أمام الفرد أو أحد أنواع البدائل التي يواجهها في الحياة الاجتماعية وبالذات عندما يقابل أحداثاً قاسية وحادة أو يواجه موقفاً حرجاً وصعباً أو معقداً ومع غياب المعوقات العقلانية أو العلائقية عنده في مواجهتها والتغلب عليها يجنح ساعتئذ لاستخدام العنف حتى يستطيع الإفلات منها (أي من الأحداث) أو منه (من الموقف الصعب) أي لا يجد أمامه سوى استخدام العنف كوسيلة للإفلات منها أو منه، وهنا يكون الفرد أقل ميلاً لانتقاء الخيارات الأخرى (غير العنفية) ومع تكرار نفس الحدث أو الموقف يمسي العنف عنده عادة سلوكية محببة وأداة سهلة للحصول على مبتغاه أو التهرب من موقف صعب أو حاد أو حرج. أقول تتلون

4- العنف والتصرف العقلاني نقيضان لا يلتقيان ولا يتجانبان. فالفرد الذي يتصرف بعنف يعني أنه لا يستخدم عقله في قراءة الأحداث التي يشاهدها إذ ينظر إليها على أنها مستقرة على قطبين متنافرين (سلبية وإيجابية) ولا

5- تميل طبيعة العنف إلى التصعيد والتفاقم إذ يستخدم مستخدمه الآلات الجارحة أو النارية أو اللكمات والركلات أو العصي أو السياط للتعبير عن امتعاضه وانفعاله ضد الآخر أو للدفاع عن رأيه أو مصلحته. بمعنى آخر لا تميل طبيعة العنف نحو الوئام والسلام مع الآخرين وعندما يكون ذلك فإن مستخدمه لا يتمنطق بالمنطق العقلاني في تعامله مع الآخر أو عند مطالبته بحقه أو مصلحته أو حتى التعبير عن رأيه.

6- العنف نقيض الإصلاح أو الابتكار أو الإبداع أنه أشبه بالعشب الضار (الدغل) Noxions Social Weed لا يفيد الإنسان ولا التربة ولا النباتات لأن ضرره أكثر من نفعه، حتى لو كان وسيلة لإعادة بناء مؤسسات سياسية أو اجتماعية لأنه مدمر أو مخرب أو يولد مشكلات جديدة بعد أن يلغي أو يطمس المشكلات القديمة.

توفق في مسعاه ومنهم من لم يغطِ كافة أوجهه أو يصف معناه الشامل لأنه كسلوك انفعالي موجه نحو هدف معين لا يقع اعتباطاً أو عفوية من قبل شخص أو مجموعة أشخاص، وذلك لكونه يخضع لدوافع داخلية (نفسيه) وعلائقية (اجتماعية) ومحيطية (مكانية وزمانية) ومادية (مال أو مادة) وثقافية (تعصب أو تحيز) وموقعية (المحافظة على منصب تدرجي متميز) وأسرية (تفكك أسري أو تنشئة) وسواها.

النوع المقصود أيضاً، لأن التصرف الحاصل بدون وعي يصدر من قبل الجاني أو يحصل تحت ظروف حادة وطارئة ويخضع لها الجاني بحيث تجعله يقدم على التصرف العنيف. هذا العدوان في تقديري يكون من النوع المقصود أيضاً لأن التصرف المتصرف بدون وعي للشخص غير العدواني ينتهي بدون عدوان كذلك التصرف الخاضع لظروف شاذة وحادة ينتهي بدون إيذاء إذا كان الشخص سوياً غير عدواني.

ففي عام 1972 عرف بالمير palmer العنف على أنه إيذاء شخصي يعاني من إحباط نفسي حاد تمت إثارته ليعتدي على شخص آخر أو آخرين له علاقة بمصدر الإثارة. (charles, 2005 p.45) بشيء من الموضوعية لا يعد تعريف بالمير الآنف الذكر كاملاً أو نموذجياً يحيط بكافة أو معظم جوانب الفعل العنفي لأنه لم يشر إلى أو لكونه لم يتضمن درجة العنف لأنه لا يكون واحداً في كل الحالات بل هناك درجات متفاوتة فيه، يبدأ من العنف اللفظي ماراً بالعاطفي ثم الجسدي لينتهي بالقتل (إنهاء الحياة) ويختلف من وقت لآخر ومن ثقافة لأخرى لذا يتطلب منا أن نعتني بإيجاد تحديد وافي وشافي يعبر عن المثيرات والمؤثرات.

وليس موروث لا صلة له بالعنف الحيواني وذلك راجع إلى وجود العقل عند الإنسان المتصف بالمرونة والإبداع والخلق فضلاً عن وجود تراث اجتماعي وفكري يساعده بالابتعاد عن ممارسة السلوك العنفي، بل يقدم له اساليب عديدة من الدفاع عن وجود مجتمعه إذا تضرر، ولا أثر أيضاً لاحتشاده مع حشد بشري في مكان جغرافي واحد لأن الإنسان مجبول على العشرة والاجتماع، بل إن العزلة والتفرد تجعله عدوانياً مع نفسه ومع الآخرين وإذا حصل أن انزلق في وهد العدوان أو في تصرف عدواني ضد الآخر، فإن هذا يعني أن هناك أسباباً ذاتية واجتماعية (تنشيئية) وثقافية (إرث اجتماعي) تكون بمثابة مهماز(دوافع) تدفعه للتصرف العنفي وليس لغريزة البقاء للأقوى كالحيوان، لذلك فالتأويل الغرائزي الحيواني ليس له مكان في

وكلما دلفت إلى مدار العنف يواجهني سؤال مفاده هل يمثل العنف أحد قواعد الطبيعة البشرية؟ وأن له بنية جينية من جينات الوراثة البايولوجية لا يمكن التغلب عليها وتكون حتمية ومطلقة؟ جوابي على ذلك كلا، لأن له دوافع مجتمعية مرتبطة بوجوده الاجتماعي لا البيولوجي، ففي المجتمعات البدائية هناك دوافع تدفع البدائي لأن يكون عنيفاً لكي يحافظ على وجوده مثل الغزوات والحروب من أجل الحصول على الماء والكلأ، لكن ليس له دافع إيذاء الآخر أو قتله إلا إذا هوجم أو شعر بالخطر من وجود الآخر الغريب عليه، أو الذي يريد أن يستولي على ممتلكاته، لذا يكون صريحاً وواضحاً في استخدام العنف من أجل إبقاء وجوده في الحياة الاجتماعية(مكانته ودوره واعتباره الاجتماعي) أما في المجتمعات المتحضرة فإن الفرد يستخدم العنف أيضاً ليغلفه بأغلفة يموه بها حقيقية عنفه أي يقنعه بأقنعة يبرر ويسوغ إيذاءه ليجعله عملاً جميلاً ومقبولاً.

معنى ذلك أن بعض أحداث المجتمع تدفع الفرد لأن يكون عنيفاً (مثل البطالة أو الفقر أو والحرمان العاطفي أو التنشئة الاجتماعية الصارمة والقادحة أو الزمر الصداقية السائبة أو العصابة الإجرامية أو الأفلام السينمائية العنيفة (الأكشن) أو الانقلابات العسكرية والسياسية أو الثورات أو الحركات السياسية والدينية

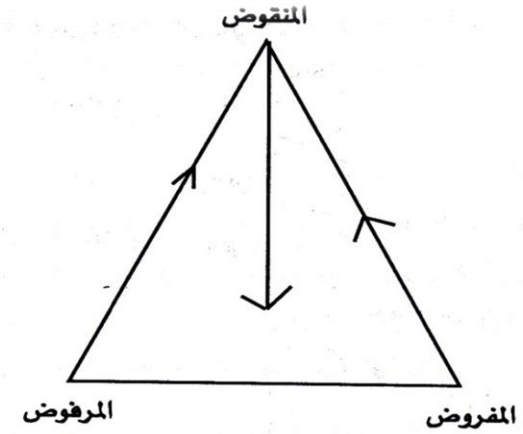

شكل رقم (1)

يصور هذا الشكل البياني عدم وجود قاعدة للطبيعة البشرية في توليد أو بلورة السلوك العنفي عندالفرد، بل هناك قاعدة اجتماعية منشؤها التفاعل الاجتماعي بين الفرد والآخر أو بين الفرد والموقف أو الحدث الاجتماعي.

1- الاستمرارية Continuity

أي التواصل المستمر. فالفرد أو الجماعة عندما تمارس سلوكاً عنيفاً من أجل تحقيق مآربها أو مراميها تحت ظروف معينة وتنجح به فإنها تجده وسيلة سهلة لها تتحول إلى خبرة عندها في ممارسته عندما تواجه مواقف حادة أو معقدة أو صعبة عليها، فلا تكلف نفسها بالبحث عن بديل له، عندها يمسي (العنف) سلوكاً سهلة

2- التبادل Reciprocity

أي أن العنف ينتج عنفاً ويفرخه فاستعمال السلاح مثلاً ضد الآخر يقابله استخدام السلاح من قبل الطرف الذي وجه السلاح إليه، وهذا ما نجده في المجتمعات المستعمرة التي تم غزوها من قبل المستعمرين، فالمواطن يستخدم العنف

3- الرتابة المتماثلة Sameness

التي تعني عدم وجود تمييز يفرق بين ما يسمى بالعنف المبرر أو العنف الجيد أو العنف غير المبرر والعنف السيئ، كيف يمكن ذلك؟

4- العنف ينجب عنفاً Violence Begets Violence

من غرائب الأمور أن العنف لا يؤدي إلى الحقيقة ولا يقود إليها لأنه يبنى على الكذب والرياء والتزييف والتحريف وإلصاق التهم وتقديم الوعود غير الصادقة بل والأغرب من ذلك هو إزاحة الطغات المستبدين فقط أي تغير شخص أو عدة أشخاص ممن كانوا يستخدمون العنف لأن استخدامه في الواقع يوقع ممارسيه في شِركة أو فخه.

5- التبرير justify

غالباً ما يميل الشخص الذي يستخدم العنف في تفاعلاته الاجتماعية مع الآخرين إلى تبرير وتسويغ عنفه وإلى إخفاء هدف عنفه.

تدريبات

١- عرف العنف ؟
٢- اشرح قوانين العنف؟
٣- وضح بعض خصائص العنف؟

المحاضرة التاسعة

العنف اجتماعياً

أولاً رؤيـة القسم :

تحقيق التميز لكي يكون إحدى صروح التعليم الجامعي المميز في مجال علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية ويهدف القسم برؤيته التطلعية إلى استخدام المهارات المعلوماتية وتطبيق أفضل الوسائل التكنولوجية في المهارات البحثية والتفكير في صور نقدية وموضوعية لمواكبة متطلبات الاعتماد الأكاديمي من قبل المؤسسات العلمية.

ثانياً رسالـة القسم :

إعداد المتخصصين المؤهلين في مجال علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية مزودين بالمعارف والمهارات والخبرات المهنية الحديثة المتمثلة في المهارات المعلوماتية والتفكير النقدي ومهارات البحث والاتصال وتطبيقاتها في مجال علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، كما يعمل القسم على التطوير والمساهمة في نشر المعرفة الاجتماعية وتقديم الاستشارات والتدريب والخدمات الاجتماعية للمجتمع السعودي ومؤسساته.

أهداف المقرر :

¨ أن يتعرف الدارس على مفهوم علم اجتماع الأسرة و موضوعه

¨ أن يستنتج الدارس نظام الأسرة الاجتماعي وعلاقته بالنظم الاجتماعية الأخرى كالزواج و القرابة

¨ أن يتعرف الدارس على أحدث النظريات في التنشئة الاسرية

¨ أن يدرك الدارس أهمية التفاعل الأسري الاجتماعي في عملية التنشئة الأسرية

¨ أن يميز الدارس بين مفهوم المشكلة و الأزمة الزوجية ¨ أن يتمكن الدارس من تحليل أنماط العنف الأسري

¨ أن يدرك الدارس تأثير الضغوط الإجتماعية على الأسرة

¨ ن يكتسب الدارس مهارات التعامل مع المشكلات التي تواجه الأسرة وكيفية علاجها

أهداف المحاضرة

- **أن يتعرف الدارسون على العنف ومعناه اجتماعيا وثقافيا.**
- **أن يفرق الدارسون بين أنواع العنف.**
- **أن يستنتج الدارسون ضرورة دراسة قضايا العنف في المجتمع سوسيولوجيًا .**

أن يكتسب الدارسون مهارات عامة مثل : التواصل الفعال، التعلم الذاتي ، العرض الفعال ، فن المناقشات والحوار .

عناصر المحاضرة

العنف الأسري

التطور التاريخي للعنف الأسري

مصادر المعلومات عن العنف الأسري

العنف الأسري

1- دلالة الإيذاء: يقصد بها إساءة استخدام المسؤولية التنشئية- بدون قصد- من قبل أحد أفراد الأسرة على الآخر (في المجتمع الغربي) وهي آلية تأديبية- بدون قصد- يستخدمها الوالدان لجعل أبنائهم يمتثلون لأوامرهم وتوجيهاتهم الضبطية (في المجتمع الغربي) وفي كلا المجتمعين (الغربي والعربي) يكون الإيذاء على أنواع وهي: الجسدي واللفظي والنفسي وجدير بذكره في هذا المقام إلى أن الإيذاء لا يكون محصوراً في التنشئة الأسرية لأن هناك :

- إيذاء الأبوين للأبناء
- إيذاء الأبناء للأبوين
- إيذاء الزوج لزوجته
- إيذاء الزوجة لزوجها
- إيذاء الأطفال للأطفال

2- دلالة الإهمال: فإنها تشير إلى عدم الاستجابة لطلبات الضحية التي تحصل بقصد وبتعمد بسبب الإجهاد والتعب الذي أصاب المعتني أو الراعي المهتم برعاية المسن صحياً وغذائياً وشخصياً بسبب تعدد وتنوع طلبات المسن من المعتني، وغالباً ما يكون الأخير من الأبناء أو الأحفاد أو الأقارب. والإهمال على نوعين هما الإهمال السلبي والإهمال الفاعل.

κнℓσᴅ ッ

4- دلالة سلب الحقوق المدنية: وهي أحد دلائل العنف الأسري الذي يحدث مع المسنين في الأسرة أو مع الأطفال القاصرين إذ يتم الاستحواذ على حريتهم الشخصية والتعبيرية والتفكيرية أمام الآخرين أو منعهم من التصويت في الانتخابات أو الذهاب إلى زيارة الأهل والأقارب أو الأصدقاء أو الجيران أو إجبارهم على التصريح بمعلومات غير صحيحة. انظر شكل رقم -1- ومن أجل استجلاء أكثر عن مفهوم العنف الأسري نذهب إلى تمييزه عن مفهوم العدوان aggression (الذي يمارس على مستويين وهما اللفظي والجسدي) ويعني التعدي على حقوق الآخرين غير المسبوق باستفزاز يبرره يوقع الألم والأذى الجسدي أو اللفظي أو النفسي بشكل مباشر، أو غير مباشر وغالباً ما يحدث مع الفرد النزق أي المتصف بالاستجابة السريعة للغضب والانفعال والإثارة. كذلك يحدث بين الأفراد الذين لا توجد بينهم علاقة ودية أو حميمة بل صراعية. أقول هناك تصميم وتفكير مسبق عند الطرفين أو عند أحدهما في إيقاع العدوان على الآخر لذلك لا تكون علاقتهما ودية بل متصارعة.

هدف واحد لهما وهو الاعتداء الذي يصدر من معتدي يملك نفوذاً ومالاً ومكانة ودوراً وسلطة أعلى من المعتدى عليه وتربطهم علاقة زواجية أو دموية. هذا الاعتداء يخرج عن الانسجام في العلاقة الأسرية والتوازن في ميزان القوى الأسرية بحيث تعتمد الضحية على المعتدي مالياً ونفسياً واجتماعياً. وغالباً لا تقصد سبقاً في الاعتداء والإهمال، إنما هناك تقصد متعمد في الاعتداء الجنسي وسلب الحقوق.

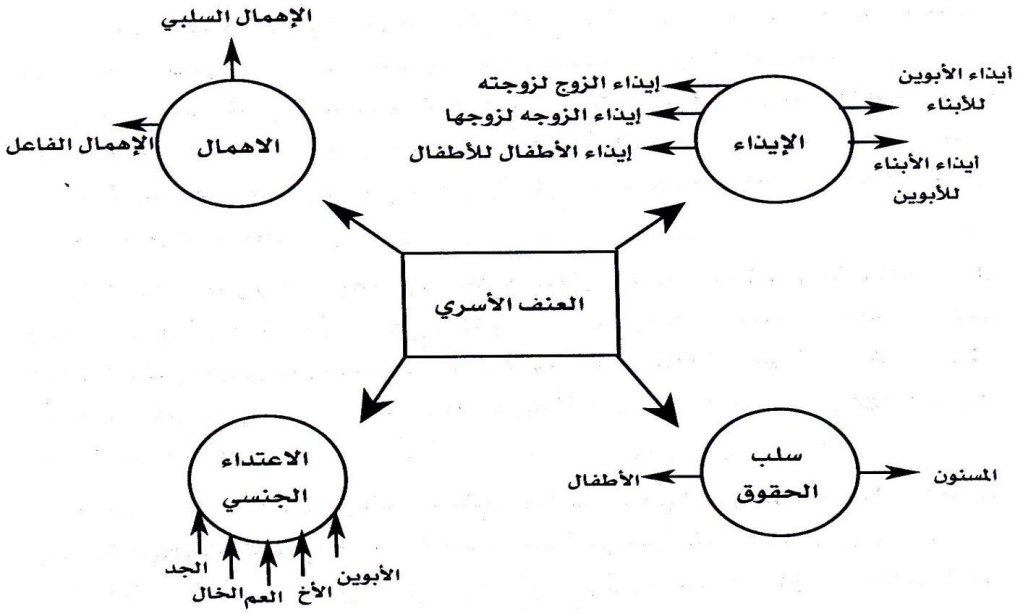

التأريخ الاجتماعي العنف الأسري

اليوناني والروماني أنشئ بيت خاص بالأطفال اليتامى يقوم بتربيتهم والعناية بهم فضلاً عن القوانين التي شرعت قبل 450 عاماً قبل الميلاد، التي رعت واهتمت بحماية الطفل والنظر إليه على أنه إنسان قاصر يحتاج إلى حماية ورعاية من قبل المجتمع.

أما في عصر النهضة أبان القرن الثامن عشر فقد ازداد الاهتمام بالطفل ورعايته من قبل المؤسسات الصحية والمجتمع معاً. إذ تأسست مستشفى في لندن تدعى مستشفى لندن التأسيسية في القرن الثامن عشر أخذت على عاتقها العناية بالطفولة والاهتمام بها وحتى تمثيلها في المحافل الرسمية والشعبية وقادت حملة كبيرة للتحكم في الأمراض التي تصيب الأطفال وما لها من آثار على أفراد الأسرة وعائلتهم في ذات الوقت.

أما سوء معاملة الطفل فقد حظي باهتمام متميز من قبل العيادات الطبية ومراكز البحوث الأسرية مع بداية العقد السادس من القرن العشرين، وقد شملت المعاملة السيئة والضرب والتجريح، ومع تقدم الوقت تزايد الاهتمام بها وبالذات في العقدين السابع والثامن من القرن الماضي إذ شمل دراسة أسبابها وآثارها فشمل سوء التعامل الجنسي.

وحري بنا أن نذكر أن الاهتمام المركز والمنصب على سوء معاملة الطفل كان صادراً من الحركات الأنثوية والنسوية التي تدافع عن حقوق المرأة وشؤون الأسرة، واعتبرت المعاملة السيئة للأطفال أحد مواضيع اهتمامها، أو كان ذلك في العقد السابع من القرن الماضي ثم ظهر على سطح الاهتمام بالشؤون الأسرية سوء معاملة المسنين إبان العقد السابع من القرن العشرين ليس من قبل الحركات النسوية بل من قبل المدافعين عن المسنين.

مصادر المعلومات عن العنف الأسري

تتأتى المعلومات عن سوء معاملة الطفل وإيذاء الزوجة والعنف الأسري من ثلاثة مصادر رئيسية وهي:

1. من عينات عيادية (طبية)
2. ومن تقارير رسمية
3. ومن مسوحات اجتماعية

لهذه المصادر الثلاثة إيجابياتها الخاصة بها ونقاط ضعف في طبيعتها وكلاهما يؤثران على نوع وتعميم ما عثرت عليه البحوث أو ما توصلت إليه.

إنما أكثر مصادر المعلومات رفداً للمعلومات عن العنف الأسري بشكل مستمر يتأتى من الدراسات العيادية clinical studies يقوم بها محللون نفسانيون وعلماء نفس وأخصائيون في الإرشاد والتوجيه وذلك راجع إلى كون هؤلاء المتخصصين (الباحثين) يحصلون على مداخل مهمة عن العنف الأسري. على سبيل المثال لا

أما الدراسات الخاصة بسوء معاملة الزوجة وعنفها أو العنف نحو المرأة فإنه يستسقى بشكل مكثف في عينات خاصة بالنساء الباحثات عن مساعدة من قبل الملاجئ الخاصة بالنساء المعنفات women shelter مثل هذه العينات تكون مهمة لأنها تمثل الطريق الوحيد للحصول على معلومات مفصلة عن الإيذاء والضرب الذي يصيب النساء، فضلاً عن ذلك تكون هذه المعلومات ضرورية لدراسة تأثير المتغيرات المتداخلة.

إن استخدام المسوحات الاجتماعية social surveys في دراسة العنف الأسري غطت طبيعة تنشئة الأطفال فيما يخص الخصوصيات والمحرمات المستخدمة عند بعض الفئات والطوائف الاجتماعية، وقد تم استخدام المقابلة التلفونية في جمع

المعلومات واستخدام طلاب الجامعة في جمع المعلومات من المبحوثين في المسوحات وبالذات في المسوحات التي أجريت في الأعوام الواقعة بين 1980 أو 1984. جدير بذكره في هذا السياق أن في المسوحات يستطيع بواسطتها الباحث أن يعمم نتائج دراسته وذلك بسبب كبر حجم المجتمع المدروس (gelles , 1993,p.9) .

أما المعلومات العيادية فإن التعميم عن نتائجها يكون محدوداً جداً بحدود العينة المدروسة، لذا لا يمكن تعميمها بل يمكن استخدامها كمادة للمقارنة مع نتائج دراسات عينية وليست مسحية، فضلاً عن ذلك فإن عدم الاستجابة للمبحوثين في المسح لا يكون عددها عالياً وذلك بسبب حضور أحد الوالدين أو كليهما أثناء إجراء عملية المسح وهذا يؤثر على تقليل عدم الاستجابة من قبل الأطفال.

على أن لا ننسى أن المناهج التجريبية وغير التجريبية والمتكررة عن حالات العنف الأسري غير موجودة في دراسة هذه المشكلة.

<u>تدريبات</u>

عرف العنف الأسري ؟

وضح التطور التاريخي للعنف الأسري؟

اشرح مصادر المعلومات عن العنف الأسري؟

المحاضرة العاشرة

نظريات العنف الأسري

أولاً رؤيـة القسم :

تحقيق التميز لكي يكون إحدى صروح التعليم الجامعي المميز في مجال علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية ويهدف القسم برؤيته التطلعية إلى استخدام المهارات المعلوماتية وتطبيق أفضل الوسائل التكنولوجية في المهارات البحثية والتفكير في صور نقدية وموضوعية لمواكبة متطلبات الاعتماد الأكاديمي من قبل المؤسسات العلمية .

ثانياً رسالـة القسم :

إعداد المتخصصين المؤهلين في مجال علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية مزودين بالمعارف والمهارات والخبرات المهنية الحديثة المتمثلة في المهارات المعلوماتية والتفكير النقدي ومهارات البحث والاتصال وتطبيقاتها في مجال علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية ، كما يعمل القسم على التطوير والمساهمة في نشر المعرفة الاجتماعية وتقديم الاستشارات والتدريب والخدمات الاجتماعية للمجتمع السعودي ومؤسساته.

أهداف المقرر :

¨ أن يتعرف الدارس على مفهوم علم اجتماع الأسرة و موضوعه

¨ أن يستنتج الدارس نظام الأسرة الاجتماعي وعلاقته بالنظم الاجتماعية الأخرى كالزواج و القرابة

¨ أن يتعرف الدارس على أحدث النظريات في التنشئة الاسرية

¨ أن يدرك الدارس أهمية التفاعل الأسري الاجتماعي في عملية التنشئة الأسرية

¨ أن يميز الدارس بين مفهوم المشكلة و الأزمة الزوجية ¨ أن يتمكن الدارس من تحليل أنماط العنف الأسري

¨ أن يدرك الدارس تأثير الضغوط الإجتماعية على الأسرة

¨ ن يكتسب الدارس مهارات التعامل مع المشكلات التي تواجه الأسرة وكيفية علاجها

أهداف المحاضرة

- **أن يتعرف الدارسون على العنف ومعناه اجتماعيا وثقافيا.**
- **أن يفرق الدارسون بين أنواع العنف.**
- **أن يستنتج الدارسون ضرورة دراسة قضايا العنف في المجتمع سوسيولوجيًا .**

أن يكتسب الدارسون مهارات عامة مثل : التواصل الفعال ، التعلم الذاتي ، العرض الفعال ، فن المناقشات والحوار .

عناصر المحاضرة

- **التأويلات النظرية للعنف الأسري :**
  - ✓ **نظرية النسق العام**
  - ✓ **نظرية التعلم الاجتماعي (نظرية اقتداء النموذج)**
  - ✓ **نظرية الموارد**
  - ✓ **التنظير البيئي**
  - ✓ **البايو اجتماعي**
  - ✓ **الضبط والتبادل الاجتماعي**

التأويلات النظرية للعنف الأسري

إذا تم إدراك العنف الأسري على أنه يمثل مشكلة اجتماعية أسرية فإن ذلك يعني أن العنف الأسري يشكل مشكلة اجتماعية، أما إذا لم يدرك بأنه يمثل مشكلة علائقية أو أسرية عندئذ لا يمثل مشكلة اجتماعية أسرية. معنى ذلك، أن المدرك أو الشاعر بالعنف بأنه يمثل مشكلة فإن العنف آنذاك يمسي مكوناً مشكلة عند الذين يشعرون به أو يدركونه فقط.

أما إذا عدوه آلية تأديبية أو توجيهية تمارس في عملية التنشئة الأسرية، فإن ذلك لا يعد مشكلة أسرية حتى لو تم الحكم عليه من أسر أو جماعات أو مجتمعات أخرى (العنف) يمثل مشكلة أسرية.

فضرب الأطفال كان يمارس وما زال يمارس من قبل العديد من الأسر ولا يحاسب عليه المجتمع أو وكالاته الرسمية والعرفية، لكن مع بداية العقد السادس من القرن العشرين نمت رؤية استنكار ضرب الطفل وإساءة معاملته وعدّ ذلك عملاً عدوانياً حتى لو حصل بين الأصدقاء وبأوقات متباعدة. ومن نافلة القول أن مثل هذه الإساءات لا تصدر إلا من ذوي العاهات النفسية حتى لو كانوا من الأهل أو الأقارب أو الأصدقاء أو الزملاء فهم يريدون تفريغ عقدهم النفسية أو أمراضهم

لا يوجد نظرية واحدة تدرس العنف الأسري

1. أن عينة الباحثين والمنظرين ليست واحدة بل مختلفة في حجمها وتمثيلها لمجتمع الدراسة ولنوع العنف الأسري الذي يحتوي على عدة أنواع من العنف.
2. خضوع العنف الأسري لمؤثرات ثقافية واجتماعية تعززه ولا تعده انحرافاً سلوكياً بل تستخدمه كأحد وسائل التنشئة الأسرية والضبط الاجتماعي كما هو سائد في الثقافة العربية.
3. تباين مضمون التحديد الإجرائي للعنف الأسري.
4. خضوع عنف الآباء لأعمارهم فالأب الذي عمره 35 عاماً يكون عنفه أقوى من الأب الذي عمره 55 عاماً.
5. تباين الإهمال طبقاً لمدته (أي هل هو إهمال لدقائق أو ساعات أو أيام).
6. تباين الضرب إذ هناك زوج يضرب زوجته ثم يغتصبها جنسياً وآخر يضربها لأنها أهانته لكن لا يغتصبها جنسياً وآخر يغتصب زوجته دون أن يستخدم أية قوة لضربها. أو أن يضرب أمه وهي على فراش المرض تعاني من داء مزمن لأنه يريد منها بعض النقود.
7. تفاعل العوامل الوراثية (البايولوجية) مع الاجتماعية في بلورة السلوك العنفي.

وإزاء هذا العنف الضمني والبيني (ضمني أي ضمن أفراد الأسرة الواحدة أو الجماعة الواحدة على ضحية عاجزة وضعيفة برزت ثلاثة مستويات من التماثيل وهي:

1. تحليل ذاتية الفرد نفسه.
2. تحليل نفساجتماعي
3. تحليل ثقافاجتماعي.

1. يركز التحليل الأول (ذاتية الفرد) على شخصية الجاني وخصائصها لأنه يعدها المسببة الرئيسية لعدوانية الجاني أو سوء معاملته لأفراد أسرته أو أصدقائه. ليس هذا فحسب بل إن هذا التحليل يشمل معرفة خصائص شخصية الضحية لكي يصل إلى مسببات العنف الذي يمارسه الجاني معنى ذلك أن هذا التحليل يربط بين اضطراب الشخصية والأمراض العصبية والإدمان على الكحول وعنف الجاني المتجني على أفراد أسرته وأقاربه.

ج- يفترض التحليل الثاني(نفس اجتماعي) وجود عوامل مسببة للعنف تكمن في المحيط الخارجي لذات الجاني (مثل التنظيم الأسري وبنائه وأسلوب التعامل اليومي بين الأصدقاء) يستخدمها كمؤشرات منذرة على ممارسة العنف الذي غالباً ما ينتقل من جيل إلى آخر ومن نمط تفاعلي إلى ثانٍ.

3. لا يأخذ التحليل الثالث (ثقافاجتماعي) بالمنطلقات الذاتية أو ما يحيط بها بل بالمديات البعيدة للعنف مثل العدالة الاجتماعية والنمط الأبوي patriarchy أو المعايير الثقافية أو المواقف نحو العنف أو العلاقات الأسرية. جميعها تمثل متغيرات بنائية يستخدمها كمفاتيح في استدلال مدى فاعليتها على أفراد المجتمع. أقول لا يأخذ بالخصائص الشخصية والأمراض العصبية أو حجم الأسرة أو نمط التفاعل الاجتماعي بين الأفراد بل الضوابط المعيارية التي تتحكم في سلوك وتفكير الأفراد ككل.

التأويلات النظرية للعنف الأسري

نظرية النسق العام

وفي عام 1973 قدم ستراوس ثماني قضايا افتراضية للدلالة على كيف ترتبط نظرية النسق العام بالعنف الأسري وهي:

1- العنف الأسري الذي يحدث بين أعضاء الأسرة الواحدة أسبابه المتجذرة في معاييرها وفي الصفات الشخصية لأفرادها المتمثلة في الصراع والمخاوف وسواها.

2- تكرار وقوع العنف الأسري يكون أكثر مما يبلغ عنه.

3- معظم أحداث العنف الأسري مهملة أو منكرة من قبل المنفعلين بها.

4- يكون اكتساب أساليب العنف الأسري في مرحلة الطفولة أو من الأبوين أو الأخوة أو الأطفال.

5- يأخذ العنف الأسري نمطاً خاصاً من خلال تكراره في مرحلة المراهقة والطفولة عبر التفاعلات الاجتماعية الاعتيادية ومن الوسائل الإعلامية.

6- من المحتمل ولادة تغذية راجعة إيجابية تستولد من الأفعال العنيفة الصادرة من أشخاص عنيفين تمثل نتائج مرغوب فيها بالنسبة لهم.

7- عندما يقع تضاد أو تناقض أو تصادم مع معايير الأسرة عقدها يمارس العنف الأمر الذي يضيف صراعات جديدة إلى جانب العنف الاعتيادي الممارس فيها.

8- الأشخاص الذين وصموا على أنهم عنيفون قد يتشجعون في ممارسة دور عنيف. إما استجابة لتوقعات الآخرين أو لأداء مفهومهم الذاتي مما يكون فيما بعد خطراً على الآخرين. (gelles, 1993, p.p 9-10) أذ هب الآن إلى طرح تأويلنا لهذه النظرية بعد أن قدمنا مضمونها وهو ما يلي:

أبرز الحالات النسقيه التي تعبر عن قبولها وتأييدها للسلوك العنفي

1- الجور البنائي Structural Inequality

الناتج عن ظلم أنساقه في عدم إنصافها لبعض الأدوار الاجتماعية وتحيزها للأغلبية ضد الأقلية بسبب تعصبها للبعض ضد البعض الآخر، وكل ذلك يبلور عدم عدالة نسقية ودورية، وحتى نترجم ما قدمناه آنفاً نشير إلى ما يمنحه الجور البنائي من سلطان ونفوذ للزوج على زوجته لكونها لا تملك مهارة مهنية وليس لديها مصدر مالي تستقل به عن زوجها، لذا يكون دورها خانعاً لزوجها. أي أن البناء الاجتماعي يقف بجانب الزوج وليس بجانب الزوجة لأنه يملك عملاً مهارياً ومالاً وقوة وهي لا تملك. أي بناء متحيزاً للقوي والغني (الزوج) ضد الضعيف والفقير (الزوجة) ومع الأب ضد الأبناء. مثل هذا التحيز يدفع بالزوج أو بالأب إلى أن يكون عنيفاً مع زوجته وأبنائه إذا لم يستجيبوا لأوامره وطلباته وتوجيهاته. بتعبير آخر أن عنف الزوج – الأب يكون مدعوماً من قبل أنساق البناء الاجتماعي وإذا تراخى في ذلك الشأن أو لم يلتزم به فإن مكانتة تكون متدينة بين أفراد مجتمعه ولا يمنعه النسق الاجتماعي مكانه اجتماعية واعتبارية عالية بل أحياناً يوصم بأنه ضعيف وغير متماثل مع معايير وقيم النسق البنائي.

2- التأييد الثقافي للعنف:

حالة نسقية – بنائية أخرى تستحسن التصرفات العنفية وتطري عليها ولا تجد فيها سلوكاً سلبياً بل معززاً ومدعماً للمعايير النسقية، وهذا ما نجده في كتابات العديد من الشعراء والكتاب والأدباء الذين يثنون على العنف الذكري (لفظاً وسلوكاً وفكراً) ويشجعون خنوع المرأة لرجولة وفحولة الرجل ويتغنون بهذا الخنوع تحت مسميات الأنوثة والحياء والرقة والعذوبة والطاعة والميوعة والخجل والدلع وسواها

3- النظام الأبوي patriarchy

الذي يتميز بسلطة الأب المطلقة على أفراد الأسرة وبانتساب الأبناء إليه. إن وجود هذا النوع من النظام يكون كفيلاً بمنح الرجل(الزوج- الأب) بممارسة نفوذه وسلطته وهيمنته على زوجته وأبناءه في التحكم بسلوكهم وعلاقاتهم وصداقاتهم وزوجاتهم (بالنسبة للأبناء) وإذا خالف أحدهم أوامره أو توجيهاته فإن النظام الأبوي المدعم من قبل ثقافة مجتمعه ومعايير بنائه فإنه يحث الرجل على استخدام السلوك العنفي لفظاً أو ضرباً(جسديا) أو حرماناً معنوياً أو مادياً وإذا لم يلبي هذا المطلب النسقي البنائي فإنه يكنى بألقاب سلبية تعبر عن عدم التزامه المعياري وعلى ضعف مكانته الأسرية والاجتماعية مما تؤثر سلباً على علاقاته مع المحيطين به بحيث ينظر الناس إليه على أنه مغلوب على أمره أو متحرر من محيطه الاجتماعي.

4- ضغوط العمل المجهدة stress

تساوقا مع الجور البنائي الناتج عن ظلم النظام الأبوي وعدم إنصافه هناك هموم العمل وضغوطه على الموظف أو العامل أو المهني أو الحرفي التي تكون بمثابة كابح للانفعال والغضب والخروج عن طور الفرد الخاضع لهذه الضغوط، فيتلفظ أو يتصرف تصرفاً عدوانياً وعنيفاً مع المحيطين به في مجال العمل أو في محيط الأسرة، يخضع لها المجتمع بغض النظر عن انحداره الطبقي أو انتمائه الطائفي أو مكانته الاجتماعية أو نوع مهنته (طبيب، محامي، أستاذ، موظف، عامل فلاح، تقني، كاتب، مفكر، ضابط عسكري أو أمني) وما يزيد الطين بلة إذا اقترنت هذه الضغوط مع طلبات أفراد أسرته واحتياجاتهم المادية الأمر الذي يرفع من أو يزيد من تذمره واستيائه عندئذ يلجأ إلى التلفظ بألفاظ جارحة، ويتصرف تصرفاً عنيفاً مع أفراد أسرته أو مع المحيطين به معبراً عن الضغوط المهنية التي يخضع لها.

5- النسق الإعلامي

الذي يضم الإعلانات الدعائية المنشورة على واجهات الصحف والمجلات المعروضة على شاشات التلفاز التي تعرض المشاهد المثيرة والوضعيات الجنسية العارية للمرأة لتعلن عن سلعة أو ملابس داخلية أو عطور أو أدوات تجميل أو حفاضات للدورة الشهرية للمرأة بحيث تجلب انتباه المشاهد وتثير غريزته. ولا جرم من القول بأن هناك علاقة بين العنف والجنس والجنسي والضحية. بمعنى أن الأقدام على السلوك العنيف يكون مثيراً ومحفزاً من قبل مهيجات شهوانية تبحث عن مهدئات لها، تجدها عند الضحية. إذن الإعلانات المثيرة عامل مساعد في إثارة الشهوة الجنسية التي لا تهدأ إلا بممارسة السلوك العنيف.

6- النسق الترفيهي المسّلي:

مما لا شك فيه أن أنماط النسق الترفيهي تكون مستوحاة من معايير اجتماعية سائدة في المجتمع ولها شعبية بين أفراد المجتمع تعمل على امتصاص أوقات فراغهم، وتعمل على تسليتهم وإنماء مهاراتهم سواء أكان على الصعيد الفردي أو الجمعي فمنها ما يكون تقليدياً ومنها ما يكون مستجداً أوجدته التطورات التقنية الحديثة وغالباً ما تعتمد هذه المعايير النسقية على روح المنافسة والغلبة بين المتبارين- المتنافسين وأخرى تعكس الروح الجماعية الوطنية أو الإقليمية لإبراز اسمها وشهرتها بين الجماعات (مثل فريق القدم وألعاب القوى) فالرياضية sport نجد أن جميع المجتمعات وثقافاتها تستحسن وتشجع أفرادها على ممارسة الرياضة، وتعتبرها نشاطاً جسدياً يقوم بتقوية الجسم والتسلية في آن واحد فضلاً

ثم هناك ألعاب الفيديو التي تمثل شكلاً جديداً من أشكال التغير الاجتماعي السريع الذي جلبه هذا العصر ممثلة ألعاباً شائعة ومحببة من قبل الكثير من الناس. وأنه من غير الطبيعي أن نجدها تتعامل مع العنف على شكل تحطيم أو تدمير العدو والقضاء عليه مثل لعبة pac -man الذي يبتلع الخصم ومنذ ابتكار هذه الألعاب ولحد الآن نجدها تتعامل مع العنف بشكل جذاب ومشوق للشباب والمراهقين، بل وحتى الأطفال. ففي دراسة كوب 1982 وجد هناك علاقة متنامية بين استخدام ألعاب الفيديو والسلوك العنفي، ووجد أيضاً أنها غير بناءة بل مخربة وعدوانية إنما مصورة بشكل مسل ومشوق ومثير، وبالذات عندما تعرض الخطط الحربية وسباق السيارات وحربً الأقمار الصناعية تعرض فيها قسوة وعنف اللاعبين **(pegelow, 1984,p.133)** .

أما الدمى toys فإن هناك دمى للأطفال لا تمثل اللهو البريء أو الهادفة بل تمثل أسلحة نارية أو جارحة تستعملها الشرطة أو أفراد الجيش في الحروب أو مطاردة المجرم، وتعرض علناً في محلات للعب الأطفال وتشترى للطفل من قبل الأبوين ليتسلى بها أطفالهم، ومنها يتعلم الطفل السلوك العنفي على أنه متعة مسلية تشغله بعض الوقت مثل المسدس والبندقية والرشاش والمدفع والدبابة والصاروخ

التأويلات النظرية للعنف الأسري

نظرية التعلم الاجتماعي (نظرية اقتداء النموذج)

المشابهة لهذه الحالة عند العديد من الأسر المحيطة بها. معنى ذلك آن السلوك الاجتماعي سواء كان عنفياً أو غير سوي أو منحرف فهو مكتسب من محيط الأسرة، فإذا كان الأب يمارس العنف مع أبنائه أو زوجته، فإن ذلك يكون مكتسباً من أسرة الأب عندما كان ابناً من أسرته. أي من محيطه الاجتماعي فضلاً عن خوف

حري بنا أن نقول أن نظرية التعلم الاجتماعي شاع استخدامها في تفسير وتأويل ظاهرة سوء معاملة الأبناء والعنف الأسري وسوء معاملة الأطفال جسدياً وجنسياً في العقود الأربعة الأخيرة وقد دعمت هذا الاتجاه كل من ماري كريت ميد (عالمة إنسان أمريكية قديمة) وأشلي مونتاجو 1973 في تأكيدهما على تأثير الثقافة الاجتماعية في اكتساب الفرد سلوكه الاجتماعي ثم عزز هذا الطرح عالم النفس الأمريكي الحديث البرت باندورا في نقده لما جاء به كل من سيجموند فرويد وروبرت أردري حول ما جاءوا به عن النزعة الغريزية وأثرها على ممارسة السلوك الاجتماعي إذ قال عنهما أنهما جاءوا بفكرة مجردة وليست نظرية علمية (**page low,**

لكن عندما يرى الابن أو البنت أن الأب أو الأم يمثلان نموذجاً مثالياً يحتذى به فإنهما يقوما أن بتقليده مباشرة ويعتبرونه رمزاً اجتماعياً يمثل القدوة الحسنة في التصرف والتعامل والتفكير والتمنطق. جدير بذكره في هذا السياق إلى أن الذكور غالباً ما يميلون إلى تقليد السلوك العدواني الذي يظهر عند النموذج الرمز بشكل تلقائي، وعندما تتم مكافأتهم على تقليدهم السلوك النموذج المثالي، فإنهم يزيدون من تعزيزه إلى أن يتطابق سلوكهم مع سلوك النموذج المقتدى به. وفي هذا الضرب من التقليد قال باندورا أن الناس يتعلموا السلوك عند ملاحظتهم له ليس فقط من خلال تذكرهم له بل بدافع تقليدهم له وبالذات عندما يصدر من رجل يعدونه نموذجاً في نظرهم ولا جرم من القول بأن الأفراد يتعلمون من الآخرين أكثر مما يؤدوه من تلقاء أنفسهم باستثناء حالة شعورهم بوجود حافز إيجابي مجزٍ للقيام به، والبنات أكثر من الأولاد (الذكور) في تعلمهم للسلوك إلا أنهم لا يرغبونً في أدائه

وتذكيراً لما أسلفنا آنفاً عن وجود حالة طفل ينشأ في أسرة لا تمارس السلوك العنيف إلا أنه عندما يصل إلى مرحلة الصبا، يمسي عندها عنيفاً في سلوكه وبالذات عندما يريد تحقيق طلباته أو رغباته. مرد ذلك يرجع إلى وجود جماعة الأتراب- الأصدقاء توحي إليه بأهمية وجدوى استخدام السلوك العنيف في تحقيق مراده ولا تعاقبه على ذلك، وهذا يشير إلى أن جماعة الاتراب - الأصدقاء أو الجماعة العمرية لها أثر أكبر من أثر الأبوين في العديد من السلوكيات لأنها تعبر عن طموحات ونوازع الفرد في مقاييسة ومرئياته وهذه أبرز قضايا نظرية تباين المصاحبة لسذرلند في تأويل وشرح جنوح الأحداث. وفي جانب آخر نحو شرح لسذرلند لماذا ينجذب الأطفال في نمذجة سلوكهم نحو سلوك الأب أكثر من سلوك الأم وبالذات في الأسر ذات النظام الأبوي في سلطتها ونفوذها الذي يحظى الأب باحترام ونفوذ واعتبار عالٍ

وفي تقديرنا أن نظرية التعلم الاجتماعي(اقتداء النموذج) تشترك مع نظرية النسق الاجتماعي في قضية المكافأة الاجتماعية للسلوك العنفي الذي تراه يمثل حاجة مجتمعية للضبط الاجتماعي.

KHLoD

التأويلات النظرية للعنف الأسرى : نظرية الموارد

اعتمدت هذه النظرية في قاعدتها الافتراضية على ما جاء به وليام جود 1971 (عالم اجتماع أمريكي حديث متخصص بدراسة الأسرة) عندما قال" إذا تكاثرت مصادر الفرد المادية والمعنوية قلت رغبته أو ميله في استخدام القوة بشكل علني أو مفتوح (Gelles 1993 p.11) من حيث المبدأ ترى هذه النظرية إن كل إنسان لديه نزعة عدوانية تظهر عندما لا يستطيع أن يحقق رغباته أو طموحه أو نزعاته، لكن عندما تتوفر لديه مصادر مادية ومعنوية مثل امتلاك المال والعقار أو الجاه أو الاعتبار أو الجاذبية الشخصية أو الجمال أو القوة الجسدية، فإنها تقوم بامتصاص نزعته العدوانية وتحولها إلى التحكم والسيطرة على الآخرين (زوجته أو أفراد أسرته أو الأفراد الذين يعمل معهم أو الذين يعملون معه) بتعبير ثان تتلخص رؤية هذه النظرية بأن العنف يقترن مع غياب مصادر القوة وغيابه ليكونً مرتبطاً مع حضورها.

وبناء على ذلك فإن الشخص الذي ليس لديه تحصيل دراسي متقدم أي ابتدائي أو متوسط، ويعمل بأعمال يدوية بسيطة أو خدميه ليس لها مكانة تذكر في المجتمع وأجرها قليل، ولا يمتلك مهارات شخصية متميزة، فإنه يميل بشكل ملحوظ إلى استخدام السلوك العنفي مع زوجته أو أولاده كتعويض عما فقده أو للثأر من مؤهلاته الأولية - البسيطة أو تغطية النقائص التي عنده لكي يحصل علىٰ موقع متسلط على أفراد أسرته.

لكن إذا امتلك مصادر مادية ومعنوية عالية ويعيش عيشه رغدة ومرفهة ويعمل عملاً موقراً يدر عليه دخلاً وفيراً، ويتمتع بلباقة كلامية ويحسن التعامل مع الناس وله اعتبار اجتماعي عالٍ فإن استخدامه السلوك العنيف مع زوجته أو أولاده لا يكون قائماً.

بمعنى أن الشخص الذي لا يحترمه الناس يجنح لممارسة العنف معهم. والذي لا يحترم الآخرين فإنه غالباً ما يكون فاقداً لمؤهلات الاحترام التي تمثل مصادر قوته مثل رزانته الشخصية ومهاراته وجاذبيته وغناه. انظر شكل رقم -1- يوضح لك ما ذكرناه آنفاً حسب نظرية الموارد.

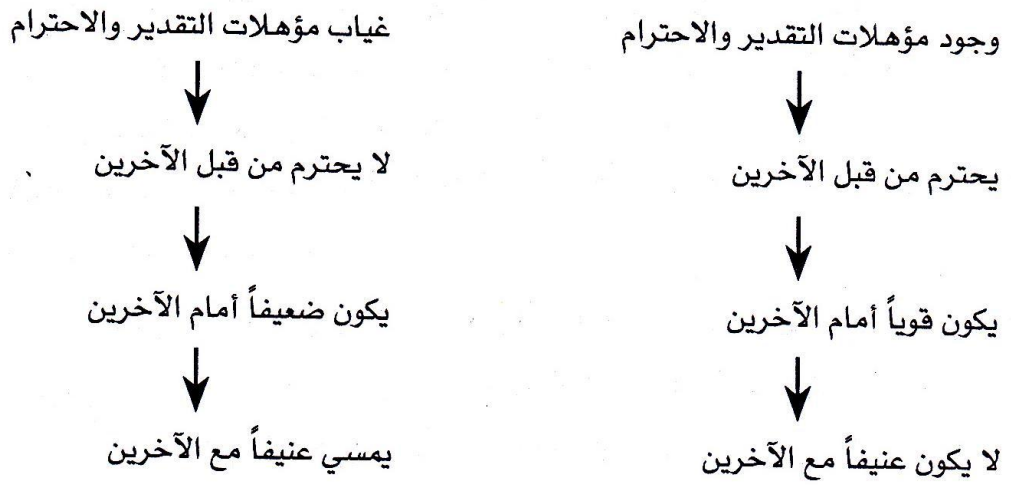

KHloD ツ

وجود مؤهلات التقدير والاحترام

↓

يحترم من قبل الآخرين

↓

يكون قوياً أمام الآخرين

↓

لا يكون عنيفاً مع الآخرين

غياب مؤهلات التقدير والاحترام

↓

لا يحترم من قبل الآخرين

↓

يكون ضعيفاً أمام الآخرين

↓

يمسي عنيفاً مع الآخرين

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن هذا الامتلاك للموارد النفوذية لا يحصل اعتباطاً أو عفوية بل بالعمل الجاد والمثابر والاجتهاد والمنافسة لكي يحصل على عمل وظيفي محترم يدر عليه مالاً مجزياً ويمنحه مكانة اجتماعية مرموقة تبعده عن الدخول في سلوكيات عنفية، لأن وضعه المهني والمالي واعتباره الاجتماعي لا يشجعانه على ذلك. فضلاً عن استخدام عقله في تدبير الأمور والاهتمام باحترام الناس له والمحافظة عليه مما يجعله لا يقدم على تصرفات حمقاء أو رعناء، لذلك لا يوصل انفعالاته إلى درجة السلوك العنفي مع الآخرين. وإزاء ذلك نستطيع أن نقول بأن الشخص الكسول والغبي وغير الجدي في عمله والذي لا يحترم الوقت وغير الطموح وغير المؤمن بفكرة من جد وجد فإن انزلاقه في وهد العنف يكون وارداً وحاصلاً.

إذا أردنا أن نخرج من الحياة اليومية لندخل إلى موضوع العنف من باب الاحتمالات: فإننا سنجد ستة احتمالات مستخرجة من نظرية النسق العام ونظرية موارد النفوذ وهي ما يلي:

الاحتمال الأول: مالك موارد النفوذ ← غير عنيف

الاحتمال الثاني: فاقد موارد النفوذ ← عنيف

الاحتمال الثالث: المنشأ عنفياً ← عنيف

الاحتمال الرابع: المنشأ عنفياً+ مالك موارد النفوذ ← غير عنيف

الاحتمال الخامس: فاقد موارد النفوذ+ المنشأ عنفياً ← عنيف

الاحتمال السادس: فاقد موارد النفوذ+ غير المنشأ عنفياً ← عنيف

زبد القول: أن السلوك العنفي لا يصدر من مصدر واحد بل عدة مصادر ومن عدة مراحل نمو وتقدم عمر الإنسان تبدأ من التنشئة الأولى مرحلة الطفولة وتنتهي بوجوده في شبكة الحياة الاجتماعية اليومية العملية، إنما في تقديرنا أن امتلاك موارد النفوذ تستطيع امتصاص ما تم تنشئته في مرحلة الطفولة والمراهقة وما يشاهده من أفلام ومسلسلات تلفازية إذا لا بد من وجود قنوات تصريفية يصرف فيها الفرد عدوانيته وتسلطه على الآخرين وغالباً ما تكون المهنة هي القناة الكبيرة التي يمرر منها تفرده واستبداده وتغطرسه التي تستطيع فيها أو من خلالها التحكم بالآخرين، علاوة على المورد المالي الذي لا يحرمه من أرواء عطشه الضروري والكمالي، كل ذلك يمنحه احترام الناس الذي بدوره يحجم اندفاعه نحو ممارسة العنف معهم.

التأويلات النظرية للعنف الأسري : التنظير البيئي

قدم كل من جيمس جار بارينو 1977 وجاي بيلسكي 1980 نموذجاً بيئياً شرحا فيه طبيعة مشكلة التعامل الجائر والقاسي والخشن للطفل من قبل الأبوين. استخدما فيه ثلاثة مفاتيح تحليلية وهي:

أ- علاقة الفرد بالبيئة.

ب- الإنساق المتداخلة والمتشابكة والمتفاعلة التي يعيش في وسطها الفرد.

ج- نوع البيئة.

تم بناء هذا النموذج البيئي على افتراض مفاده أن سوء معاملة الأطفال وخشونة التعامل معهم يتبلور من خلال عدم توافق أو عدم انسجام الأبوين مع أطفالهم ومع أسر الجوار ومجتمعهم المحلي الذي يقطنون فيه، والحالة تكون أكثر سوء إذا خضع الطرفان- الأبوين والأطفال- لظروف مادية واجتماعية ضنكة ومضغوطة بل التعامل يكون أتعس بكثير عندما لا يكون للأطفال تحصيل دراسي، أو عندما يتعايشون مع عوق عاطفي أو اجتماعي كل ذلك يرفع من درجة سوء وخطورة تعامل الأبوين مع أطفالهم يصل بها إلى استخدام العنف اللفظي أو الجسدي أو التربوي، أما إذا كان عند الأبوين أو عند أحدهما مشكلات شخصية مثل عقد نفسية أو عادات شاذة أو أطباع حادة المزاج بذات الوقت يعيشا تحت ظروف عصبية، فإن تعاملهما مع أطفالهما يكون جائراً وقاسياً وخشناً كتحصيل حاصل لما يعانيه من مشكلات وحرمان ومعاناة.

التأويلات النظرية للعنف الأسري : نظرية البايو اجتماعي

بمعنى أن يكون الشعور الأبوي والأمومي نحو ذريتهما يحدد استخدام السلوك العنفي معهم. فإذا كانت ذريتهما قليلة العدد فإن شعورهما (الأبوي والأمومي) نحو أبنائهما يكون قوياً، وهذا بدوره يبعدهم عن استخدام السلوك العنفي معهم. وإذا كانت ذريتهم تمثل عدداً كبيراً فإن شعورهم نحو أبنائهم يكون ضعيفاً بسبب توزيعه على عدداً كبيراً منهم عندئذ يدفعهم هذا نحو استخدام العنف مع أبنائهم عند تربيتهم لهم والحالة تكون مشابهة مع الأطفال من غير ذريتهم البايولوجين المتبنين أو اليتامى أو الأخوة بالرضاعة وهنا يكون السلوك العنفي متوقعاً استخدامه.

لا جناح من القول بأن هذه النظرية تؤكد على أن مرجع العنف الأسري الذي يصدر من الزوج نحو زوجته يصدر عندما لا تكون علاقتهما متوازنة ومتساوية، لكن في أغلب الأحيان تكون غير ذلك بسبب عدم توازن وتساوي وتضامن وقوة أسرة وأهل الزوجة بنفس القدر عند الزوج، وعدم توازن وتساوي المصدر الاقتصادي بينهما إذ يكون عند الزوج أعلى من الزوجة، وغالباً ما تكون الرغبة في السيطرة الجنسية من قبل الرجل هي الدافع الأقوى في استخدامه للعنف نحوها(بقي أن أشير إلى أن هذه النظرية صدرت في عام 1980-1989 من قبل المنظرين مارتن دالي ومارجو ولسن وبرجس ودرابير).

أقول يكون استخدام السلوك العنفي كأداة ثقافية ضابطة لكل من يخرج عن ضوابط المجتمع الثقافية وإزاء ذلك تقوم الثقافة الاجتماعية بمكافئة ولي الأمر الذي استخدم العنف مع المنحرفين عن معاييرها. (gelles, 1993,p.13). خير مثال

نادراً والعكس صحيح. إنما تبرز ممارسات السلوك العنفي في الحالات التالية:

1- عدم انسجام الزوجين مزاجياً وطبقياً وتعليمياً.

2- عدم تماثل أحدهما أو كليهما لمتطلبات ومستلزمات دورهما الأسري كزوج وزوجة.

3- تأثر أحدهما بطفولته القاسية والجافه التي استخدمت العنف معه أو معها.

4- عدم شفافية التفكير وتفهم الطرف الآخر إلا من خلال استخدام الوسائل العقابية (اللفظية أو الجسدية)

تدريبات

قارن بين نظرية النسق العام ونظرية التعلم الاجتماعي ؟

اشرح نظرية اقتداء النموذج ؟

متى تبرز حالات السلوك العنفي ؟

المحاضرة الحادية عشر

أنواع من العنف الأسري

عناصر المحاضرة

- **تمهيد**
- **أنواع أخرى من العنف الأسري**
- **عنف الأطفال**

تمهيد

نادراً والعكس صحيح. إنما تبرز ممارسات السلوك العنفي في الحالات التالية:

1- عدم انسجام الزوجين مزاجياً وطبقياً وتعليمياً.

2- عدم تماثل أحدهما أو كليهما لمتطلبات ومستلزمات دورهما الأسري كزوج وزوجة.

3- تأثر أحدهما بطفولته القاسية والجافه التي استخدمت العنف معه أو معها.

4- عدم شفافية التفكير وتفهم الطرف الآخر إلا من خلال استخدام الوسائل العقابية (اللفظية أو الجسدية)

5- العناد والمشاكسة والدلع وعدم الرضا كوسيلة للحصول على مكاسب مادية أو مواقف أسرية.

6- الفرق الكبير في التحصيل الدراسي عندهما.

7- النمط الجدي عند الزوج والنمط العابث عند الزوجة.

8- تأثر الزوجة بكلام الأهل والأصدقاء في تعاملها مع زوجها.

9- مبالغة الزوج في محاسبة أخطاء زوجته.

10- الفارق الكبير بين عمر الزوج والزوجة.

κHℓσD ツ

ومن أجل تمحيص ما تقدم نتساءل عن إمكانية وراثة العنف جينياً؟ أي هل السلوك العنفي موروث أم مكتسب؟

للإجابة على هذا السؤال نعول على ما جاءت به الدراسات المهتمة بالعنف الجسدي وسوء معاملة الأطفال جسدياً إذ وجدت بأن هناك نسب لا تزيد عن الثلث تؤيد حقيقية مفادها أن المعنف عند الصغر يتحول إلى عنيف عند الكبر ومتعسف في تعامله مع الآخرين، إلا أن هذه الحالة لا يمكن تعميمها على جميع الأطفال المعنفين، لأنها غير مبرهنه علمياً وأن الدراسات التي افترضت بأن الأطفال الذين تم تعنيفهم يتحولون إلى عنيفين عند الكبر، لا يمكن الأخذ بها لأن العنف سلوك مكتسب وغير موروث وليس له علاقة بالجينات، إنما قد تكون ردود فعل مضادة عند بعض الأطفال المعنفين وانتقاماً لما حصل لهم في طفولتهم، أو تعبيراً عن القساوة التي عاشوها في طفولتهم إنما هذه الحالة لا تنطبق على جميع المعنفين إذ أن قسماً منهم لا يمارس العنف فيما بعد بل يستمر في خنوعه واذعانه للأقوى منه كاستمرار لما كان يمارس عليه في طفولته أو ينسحب من المجتمع كرد فعل سلبي يمثل شكلاً آخر من أشكال العدوانية. أي العدوانية المسالمة وليس المؤذية. فالعنيف في الكبر قد يرجع عنفه للعنف الذي مورس عليه عند الصغر إلا أن ذلك لا يمكن تعميمه دائماً، إنما هو قد يكون ذلك أحياناً.

يحسن بنا أن نشير إلى تساؤل مفاده هل هناك مبالغة في التبليغ عن المعاملة السيئة للأطفال؟ في الواقع قبل ستة وأربعين عاماً أي في عام 1962 تحديداً بعد نشر دراسة كيمب وزملائه عن سوء معاملة الأطفال وضربهم والقسوة عليهم، تزامنت معها صياغة الحكومة الأمريكية قوانين تحمي الأطفال من الإساءة في معاملتهم. في الواقع هذه المبادرة الحكومية لم تأتِ عن طريق إبلاغ علماء النفس والأطباء النفسيين والمعلمين الذين يعملون مع الأطفال والعاملين في مؤسسات رعاية

استغلال الأطفال جنسياً، فقد تم وضع برامج وقائية (لتقليص حجمها وتضييق توسع تنفيذها) تم تطبيقها في مدارس الأطفال لأنها الأكثر تعرضاً وانتهاكاً واستهدافاً من قبل المستغلين لهم وتحويلهم إلى ضحايا.

إذ جرى تطبيق تعليم ونوعية الأطفال في هذه البرامج بكيفية التعامل مع الغرباء عنهم وكيفية التصرف إذا ما تم الاعتداء عليهم جنسياً من أجل تحصينهم ووقايتهم وعدم تحويلهم إلى ضحايا من قبل منحرفين يستغلون صغار السن وبساطتهم

وأنه من نافلة القول الإشارة إلى المؤشرات الحديثة التي تدل على ممارسات عنيفة تحصل داخل المجتمع وهو وجود ملاجئ خاصة بإيواء الزوجات أو البنات shelters أو مركز العناية بالأزمات اليومية care center -crisis day وبرامج التدخل الشرطوي Police inter vention programs وجماعات دعم الأبوين Parent support groups جميع هذه التنظيمات تتعامل مع أحداث العنف الأسري من خلال برامج تعالجها بعد حدوثها.

إلا أن هناك مقترحات يمكن تطبيقها في حالة الوقاية من وقوع العنف الأسري أي مقترحات استباقية للحد من تفاقم وتحجيم عدده قدمها ريتشارد جيليس وهي :

1- إلغاء المعايير التي تمجد وتحبذ العنف داخل لأسرة والمجتمع مثل إلغاء العقوبة البدنية في التنشئة الأسرية والمدرسية وحذف المشاهد التلفازية العنيفة وإلغاء عقوبة الإعلام وتعذيب المتهمين والمجرمين.

2- تقليص الضغوط الاجتماعية التي تثير العنف مثل الفقر والبطالة والتفرقة بين الجنسين وعدم توفير العلاج الطبي والتعليم المجاني والإسكان الشعبي من قبل الحكومة. جميع هذه المتغيرات تمثل ضغوطاً اجتماعية تعمل على بلورة ممارسة العنف داخل الأسرة والمجتمع.

3- جعل الأسرة تعيش وكأنها وحدة قرابية واحدة خالية من الانعزال أو الابتعاد عن علاقاتها الأسرية. أي التعاون والمحبة والتفاني الذي بدوره يمتص الضغوط النفسية والاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها أفراد الأسرة أثناء تعاملهم مع أحداث الحياة الاجتماعية اليومية.

4- محاولة المساواة بين الذكر والأنثى في التعامل اليومي لأنه أكثر تأثيراً في إشعال فتيل العنف في عدم المساواة الاقتصادية بين الطبقات الاجتماعية.

5- أن ضرب الأفراد الذين نحبهم (مثل الزوجة أو الأبناء) يعني استخدامه كوسيلة فاعلة في التأديب والتعليم، إنما عدم ممارسة الضرب يمثل خطوة إيجابية نحو الوقاية من العنف، هذه هي المقترحات الإيجابية في الوقاية من العنف داخل الأسرة والمجتمع التي اقترحها جيليس.

KHlσD ツ

لذا فإننا نرى أن المقترحات التي قدمها ريتشارد جيليس بعيدة المنال بسبب عدم واقعيتها بل ومثاليتها وهذا لا يخدم ولا يقدم نصيحة أو فائدة في الوقاية من استخدام العنف بين أفراد الأسرة لأن الحياة الاجتماعية في تغير مستمر وتقلب دائم، وقدرة الإنسان متفاوتة في مواجهتها أو التحكم فيها. وإزاء ذلك فإن انزلاق الفرد في استخدام العنف يكون وارداً ومحتملاً لأنه يمثل الواقعية الاجتماعية والطبيعية البشرية. وهذا ما أكد عليه جيليس في قوله أننا نجد العديد من الملاجئ والمراكز والبرامج والجماعات التي تعالج العنف الأسري كلما تقدم المجتمع الذي يضعف روابط الأسرة المتماسكة. وطالما لا يخبر الفرد (الزوجة أو الزوج أو الأبناء) عن سوء معاملتهم للسلطات الأمنية بدافع أنها مسالة خاصة أو ذات شأن داخلي-عائلي، فإن ممارستها ستكون مستمرة والوقاية منها تكون حالة فردية ذاتية لا مجتمعية ولا رسمية، وطالما المرأة والطفل ضعفاء جسمياً وعاطفياً فإن الاستغلال الجنسي لهما يكون قائماً ومستمراً لأن القوي والمستغل موجود في كل مكان وزمان وبالذات عندما يكون هناك تفاوت طبقي وعرقي وطائفي داخل المجتمع، لأنها نتاج علاقة القوي بالضعيف والغني بالفقير والمتعلم بالجاهل والحضري بالريفي، لذا فهي مشكلة قائمة دائماً تخضع للزيادة والنقصان إلى متغيرات الشعور الإنساني

جدير بذكره في هذا المقام أن الفرد الذي عاش في أسرة تمارس العنف عليه فإنه ليس بالضرورة أن يمارس هو العنف على أفراد أسرته عندما يؤسس أو ينشئ أسرة، بل يتعظ من ذلك ويقدر مشاعر العنف كرد فعل رافض لهذا السلوك الذي كان يمارس عليه، إلا إذا ظهرت في حياته ظروف قاسية وحادة تمنعه من التصرف السوي مع أفراد أسرته، عندئذ يمارس العنف الذي كان يمارس عليه من قبل والديه أو إخوته لا كاستمرار لذلك بل بسبب ظروف صعبة ألزمته وأجبرته على التصرف بعنف تجاه الأحداث والأفراد. على أن لا ننسى أن الفرد سواء أكان ذكراً أم أنثى فكلاهما يمارسان السلوك العنفي إذا واجهها أو خضع لظروف قاسية وهذا يعني أن الأنثى قد تكون عنيفة مع زوجها للدفاع عن حقوقها أو عنيفة مع أحد أبنائها بسبب جهلها أو عدم قدرتها على تنشئته تنشئة سوية، أو بسبب مبالغتها في حرصها عليه..

<u>أنواع أخرى من العنف الأسري</u>

2/ء – أنواع أخرى من العنف الأسري

سوف نتناول ثلاثة أنواع من العنف الأسري، تلك التي ليس لها اهتمام متميز من قبل الباحثين ممثلين بذلك منحاً أو انعطافاً جديداً في حقل الأسرة وعلم الإجرام وهي:

1- عنف الأطفال violence by children
2- سوء معاملة المراهقين abuse of adolescents
3- سوء معاملة الأبوين المسنين abuse of elderly parents

ʀʜℓσᴅ ツ

1- عنف الأطفال (أو الاهتمام المفقود)

نشاهد جميعاً وفي كل يوم مشاهد ومناظر أبطالها يكونون من الأطفال تصور وتعبر عن شجارهم وعراكهم ومقالبهم وصراخهم، مما باتت تمثل جزءاً من المناظر اليومية الاعتيادية لدرجة أنها لا تلفت انتباهها لنقل عنها بأنها تمثل عنفاً أو انحرافاً للسلوك، لأننا تعودنا على مشاهدتها واعتبرناها وكأنها جزء من السلوك السوي للأطفال الأسوياء، نشاهدها في ساحات المدارس والأزقة والملاعب الرياضية والحدائق العامة، يستخدم فيها الأطفال في عراكهم اللكمات والصفع والتصارع لحل نزاعاتهم وخلافاتهم بل إن الباحثين العلميين وعلماء السلوك الاجتماعي نشأوا وترعرعوا في أسر حصلت فيها نزاعات وعراك بين الأخوة ومع الأقارب، وأصبحوا آباء وأمهات ويواجهون صراعات وشجاراً بين أبنائهم لكنهم يرونه على أنه سلوك طبيعي لا اعتراض عليه، بل أن بعض الآباء يدربون أبناءهم جهلاً وليس علماً على أن يكونوا عنيفين دفاعاً عن أنفسهم. إنما الجميع يرى شجار الأطفال صادراً من قبل أطفال غير راشدين غير بالغين تعودوا على رؤيته مما جعلهم يعدونه جزءاً من الواقع المعاش وليس سلوكاً منحرفاً يستحق الانتباه إليه ومعرفة أسبابه وتقدير آثاره.

لا جرم من لفت نظر القارئ إلى بعض الأخطاء الشائعة عند الأبوين عند تنشئة أبنائهم مثل تربيتهم على السلوك العنفي وتعليمهم مفرداته اللغوية. إذ كثيراً ما يعلم الآباء أبناءهم من الذكور وهم في مرحلة الطفولة تطبيع ذهنهم بفكرة الرجولة أو القوة الغالبة وعدم التخنث والميوعة والسلوك المهزوم في المقابلة الندية مثل: أريدك أن تكون (سبع لا ضبع) أو أن تكون (ذيب أمعط، تأكل) ما تؤكل أو عدم البكاء والصراخ أو السكوت عندما لا تستطيع أن تحصل على الشيء الذي تريده بل عليك المطالبة والإصرار والإقدام وعدم التراجع، وأن لا تتحمل الإهانة والاعتداء عليك بل عليك أن تأخذ بثأرك من المعتدي عليك وأن تكون أنت الرابح لا الخاسر وأنت الفائز لا المندحر، وأنت المقدام لا المنسحب بذات الوقت يعاقب الأبناء جسدياً بالضرب عندما لا يستجيبون لأوامر الأب أو الأم بذات الوقت يوصي الأبوان بعدم استخدام العنف مع الآخرين، لكن في الآن ذاته يستخدموه مع أبنائهم عندما لا يرضخون

البرت باندورا (عالم نفس أمريكي حديث) قام بدراسة مع زملائه اختبر فيها نظرية التعلم الاجتماعي تحديداً كيف يعلم الأبوان السلوك العنفي لأبنائهم من خلال مقارنة جماعتين (ضابطة وتجريبية) في مواقفهم من العدوان. وجد باندورا أن هناك اتفاقاً بين معظم الأبوين فيما يخص تعليم أبنائه السلوك الصراعي وتعليمهم السلوك العنفي مع أقرانهم وعدم تقبلهم للاعتداء عليهم(pagelow,1984,p.343) معنى ذلك أننا نعلم أبناءنا العنف دون أن نعلم أو ننتبه إليه، ونطبع في ذاكرتهم صور العنف مثل صورة السبع الذي لا يصرع والذئب الغدار وعدم تحمل الإهانة وتجنب التسامح، بذات الوقت نسمعه عبارات تهديدية عنيفة مثل القتل والكسر والقطع ناهيك عن عبارات التوبيخ والملامة التي نوصم بها كل من لا يكون عنيفاً مع أقرانه مثل مخنث، جبان، ولية، امرأة، جرذي، أرنب، دجاجة وسواها.

الملاحظ على هؤلاء الأبناء الذين ينشأون تنشئة عنفية لا يكونون من النابهين في الأعمال المبدعة بل الأعمال العضلية والدراسات العسكرية بأسلوبها القديم، بالضبط والربط، وليس في علومها الحديثة المبينة على الاستنتاج والذكاء الحاد والإنتاج الذهني لا العضلي، وغالباً ما تكون علاقاتهم بوالديهم غير حميمة بل من النوع الآمر والمطيع أو يعيشون في أسرة مفككة في هيكلها وغالباً ما يميل هؤلاء الأبناء إلى التماثل أو التماهي مع شخصية والديهم التسلطية الآمرة في توجيهها وتربيتها، أي أسرة تميل للعقاب والحرمان في توجيه الأبناء. لذلك نرى الطفل الذي يحرمه والداه من الحاجيات الطفولية يميل إلى التصرف العنفي في اغتصاب أو سلب أو نهب ما تم حرمانه منه من قبل والديه. كذلك غالباً ما يكون الأب العنيف مع أبنائه(أطفاله) أو الذي يلقنهم السلوك العنفي لا يصرف وقتاً كافياً في توجيههم وتبصيرهم بدقائق الأمور، بل يختصرها بإصدار الأوامر والتهديدات واستخدام العبارات القاسية والعنيفة والانتقاصة أكثر من المتفهمة والسلسة والموجهة. أي إنه يستلم النقد والتفريض وعدم الاستحسان من أبويه.

هناك دراسة قام بها وليام مكورد 1970 مع زملائه درسوا فيها الأبناء العدوانيين وعلاقتهم بتنشئتهم فوجودا أن %15 منهم من تم تنشئتهم من قبل أبوين عدوانيين و %10 منهم تم تنشئتهم من قبل أبوين غير عدوانيين وأن %10 من الأبناء غير العدوانيين لديهم آباء عدوانيون و%18 من الأبناء غير العدوانيين لديهم آباء غير عدوانيين.

استخدم مكورد في دراسته هذه المحكات التالية لقياس علاقة العدوان عند الأبناء بعدوانية الأب وهي:

1- أبناء نشأوا في أسرة يتعامل الأب معهم تعاملاً عقابياً- قصاصياً.

2. فشل الأب في ضبط سلوك أبنائه بشكل مباشر.

3. أب منحرف في سلوكه الاجتماعي.

4. أب غير ودود في تعامله مع أبنائه بل متصارع معهم.

في الواقع لم يجد مكورد علاقة عدوانية الأبناء بالانحدار الطبقي والانتماء الديني والأصول العرقية أو التخصص المهني للأب، إنما لأسلوب الأسرة في تعاملها مع الأبناء أثر كبير من بلورة عدوانيتهم كأن يكون أسلوباً متصارعاً أو مضطرباً أو عدم الاستجابة لطلبات الأبناء وعدم إشباع حاجاتهم الرئيسية اليومية.

ولا جناح من تناول موضوع عنف الأخوة sibling violence كأحد أنواع عنف الأطفال ويفيدنا في هذا الضرب من السلوك ستراوس وزملاؤه في دراستهم عن هذا النوع من العنف 1980إذ وجدوه يتأثر بمتغير نوع الجنس (ذكر أو أنثى) إنما عموماً وحسب ما وجدت الدراسة أن الإناث أقل عنفاً من الذكور داخل الأسرة بغض النظر عما إذا كانوا أخوة أو أخوات لكن مع ذلك هناك تميزاً بينهما بشكل بسيط وهو أن الأسرة التي تضم عدداً من الذكور (الأخوة) وأنثى واحدة (أخت) فإن السلوك العنفي بينهما يكون قليل. لكن إذا كانت الأسرة تضم إناث فقط (أخوات) فإن معدل العنف يكون عندهم أقل من الأسرة التي فيها ذكور معاً (page low,) 1984 p. 348) معنى ذلك أن وجود الإناث في أسرة واحدة يقلل من نسبة العنف فيها إذا ما قورنت النسبة مع أسرة فيها ذكور وإناث معاً. وإذا كانت في الأسرة أخت واحدة فإن وجودها يقلل من نسبة عنف الأخوة من الذكور بينهما. وفي هذا الخصوص أفادنا موراي ستراوس في دراسته المقارنة التي أجراها في عام 1981 قارن فيها بين الأبوين مع أطفالهم وقارن أيضاً الأطفال غير العنيفين مع العينتين. قام بفصل الأبوين عن أفعال أطفالهم وذلك من خلال أربعة محكات وهي:

1. انعدام العنف

2. عقوبة جسدية اعتيادية

3. إيذاء الطفل مرة واحدة أو مرتين في العام.

4. إيذاء الطفل ثلاثة مرات وأكثر.

ثم بعد ذلك قسم ستراوس عنف الأطفال إلى عنف متكرر وهجوم عنيف وقاسٍ على إخوتهم.

لا جناح من الإشـارة إلى نوع آخـر من عنف الأطفـال ألا وهـو العنف الداخلي inward violence الذي يمارس فيه الطفل عدواناً ضد نفسه انتقاماً أو ثأراً من أحد أفراد أسرته. مثال على ذلك إذا كان أحد الأبوين يحرم ولده أو ابنته من تلبية احتياجاته، فإنه قد يقوم بعمل معاد أو متعارض مع إرشادات والديه له مثل أن يضرب نفسه بدون سبب، أو يمارس اللواط نكاية بأبيه الذي قسى عليه أو حرمه

أشكال منه وليس شكلاً واحداً وهي:

1. العنف الاعتيادي: من أجل التنمر على أقرانه والمشاغبة عليهم.
2. العنف المتماهي: من أجل تقليد شخصية أبية التسلطية.
3. العنف الداخلي: انتقاماً من أحد والديه الذي مارس عليه العنف.
4. عنف الأخوة: المتباين بين الولد والبنت.

انظر شكل رقم –1– يبين لك أشكال عنف الأطفال.

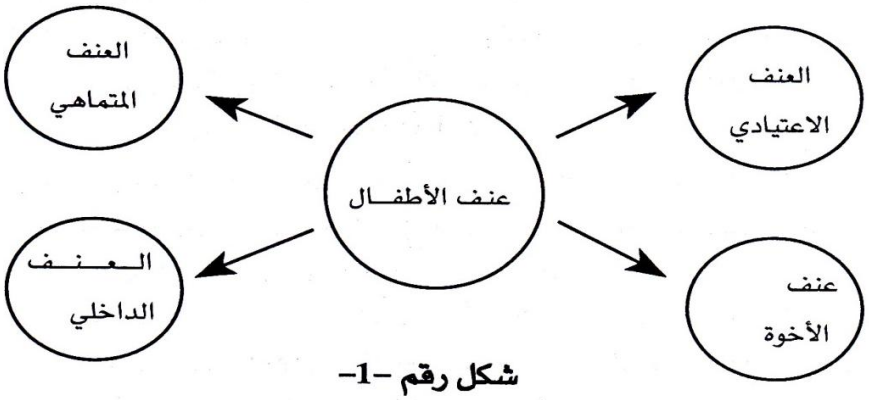

شكل رقم –1–

جـدير بذكـره في هذا المقـام أن الأطفـال في مـرحلة مـا قـبل التـاريخ أو في المجتمعات القديمة لم تكن لهم مكانة اجتماعية تذكر، بل كانت هذه المجتمعات تنظر إليهم على أنهم مخلوقـات ضعيفة لا تفيد المجتمع، لذلك كانت تميل إلى تركهم عندما يمرضون أو عندما يولدون مشوهين خلقياً أو عندما يصابوا بمرض مزمن لا يمكن شفائهم حتى يموتوا تلقائياً أو يقتلوهم وكان الأب الشخص الوحيد الذي يقرر

بقاء المولود المشوه أو المريض على قيد الحياة أو موته. حري بنا أن نشير في هذا السياق إلى أن قتل الأطفال كان مقبولاً اجتماعياً ولا يعاب عليه. بل كانت البنات

هذا ولا بد لي بعد هذا الاستهلال أن أشير إلى أن رحم الأسرة يحمل أنواعاً عديدة من العنف الأسري وهي:

1. عنف الزوج لزوجته
2. عنف الزوجة لزوجها
3. عنف الأم لأبنائها
4. عنف الأب لأبنائه
5. عنف الأبناء لأبويهما أو لأحدهما

6. عنف الأبناء أو الأحفاد (الإهمال) لأجدادهم المعمرين أو لأحدهم، وأن مفهوم العنف يأخذ أشكالاً متباينة إنما هدفه واحد. بتعبير آخر قد يأخذ شكل العنف: سوء المعاملة أو الإهمال أو الضرب أو الإهانة أو جميع ذلك يعني إيذاء من نحب في أسرتنا والتقليل من شأنه أو تحقيره وهذا مخالف لطبيعة العلاقة الودية أو العاطفية أو الدموية، لأنها تتطلب حسن المعاملة أو التودد والإعجاب والملاحظة.

2 /د-1- عنف الأطفال:

من المواضيع البكر وغير المتناولة من قبل الباحثين بشكل بارز وواسع بسبب عدم ذيوعه و انتشاره بين الأفراد في العقود المنصرمة هو العنف عند الأطفال. لكن مع تغير أساليب التنشئة الأسرية والمدرسية التي منحت الطفل حرية سلوكية وتعبيرية بعد أن ابتعدت عن الأساليب العقابية والضبط الصارم من قبل أولياء الأمور والإدارات المدرسية، وتأثرهم بوسائل التسلية الفردية ومشاهدتهم لأفلام خاصة بثقافة الأطفال، كل ذلك عمل على توسيع مداركهم ورؤاهم وحفز دوافعهم وغذى طموحهم وانجذابهم إلى ممارسة الحرية الشخصية والتمتع بها مترافقة مع رفاهية العيش وأساليب التربية الحديثة واشتغال الأم خارج المنزل لفترة أربعين ساعة أسبوعياً، واحتكاك الأطفال في مدن الألعاب ورياض الأطفال والمدن السياحية وسواها بلور عندهم روح المنافسة والدفاع عن النفس وحب التملك (تملك ألعاب أو أدوات تسلية) فأثارت عنده إثبات الذات والتعبير عنها أمام الأطفال الذين يتعامل

خليق بنا أن نشير هذا السياق إلى تأكيدات المسح الذي قال إن عنف الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 12-17 عاماً أكثر من عنف الأحداث التي يتراوح أعمارهم بين 18 عام وأكثر بل لا يقل خطورة عن عنف الكبار (finkelhor, 2008,p.93). ذكرنا في سياق حديثنا أن عنف الأطفال يختلف عن عنف الكبار وقولنا هذا لا يعتمد على مجريات الأحداث الإجرامية أو السلوك العنفي الواقعي، فقط بل يرجع إلى الرؤى والتفاسير الأخلاقية والفلسفية وما تؤول إليه اللوائح القانونية القديمة وإلى التعاليم الدينية والنظريات النفسية التي لا تعير أهمية لمعايير المجتمع وتنشئة الأطفال من قبل الأسرة والمدرسة والمؤسسة الدينية بسبب تعاطفها مع عمر الطفل، والنظر إليه على أنه أقل دراسة بالتقاليد الاجتماعية ومعاييرها وعقوباتها،

حري بنا أن نشير إلى أن ضحية عنف الأطفال لا تصاب بأذى بالغ أو بجرح خطير أو بكسر في أحد عظام جسمها بل أقل بكثير مما يقع على ضحية عنف الكبار وإزاء بساطة الأذى أو الضرب الذي يقع على الطفل من قبل صديقه الطفل لا يكون القانون صارماً أو حاداً مع الجاني بسبب القصور العمري والعقلي للجاني، ولعدم فداحة الأذى أو خطورته على المجني عليه. إذ أن القانون يأخذ بعين الاعتبار درجة خطورة الأذى الذي لا يكون فادحاً أو خطراً على ضحية عنف الأطفال. وهناك عنصر ثانٍ في احتمالات عنف الأطفال ينطوي على الأخذ بعين الاعتبار بساطة الإصابة وعدم خطورتها لأنها لم تصدر عن أو لم تُبنَ على حقد دفين أو ضغينة مبيته أو بقصد جرمي يحمله الطفل الجاني على الطفل المجني عليه.

ولا جرم من الإشارة في هذا السياق إلى العنصر الثالث الذي ينطوي على مقاومة الضحية للجاني في شجار أو عراك الأطفال تكون ضعيفة، وهذا ما يجعل من مدة شجارهم قصيراً على نقيض شجار الكبار الذي يتضمن مقاومة المجني عليه مما يزيد من مدة شجارهم أو عراكهم.

ولا مشاحة من طرح العنصر الرابع الذي مفاده أن عنف الأطفال يتضمن تدريب وتعليم الأبوين أطفالهم على الدفاع عن أنفسهم عندما يواجهون تحرشاً أو اعتداءً عليهم من قبل الآخرين، أي أن جزءاً من عنف الأطفال يرجع إلى تنشئة الوالدين لهم على ذلك هذا، ولا ننسى أن عنف الأطفال غالباً ما يحصل عرضياً وفجائياً دون سابق تخطيط أو إثارة أو إغاضة من قبل أحدهم على الآخر. ولا ننسى أيضاً أن شعور الطفل بأنه ضحية لعنف جاني لا يأخذ وقتاً طويلاً بل بزوال بزول المؤثر الذي أحدثه، وذلك راجع إلى خضوعه لعدة متغيرات طارئة ومستجدة وغريبة عليه الأمر الذي يتعامل معها بسرعة ويتكيف لها بسهولة تجعله تارة تعيساً وتارة أخرى تجعله يشعر بسعادة وابتهاج، لذا لا يبقى شعوره باقياً عن كونه ضحية لفترة طويلة ولا يطيل من شعوره بالعدوان الذي وقع عليه.

بعد هذا العرض المسهب عن عنف الأطفال سواء أكان ضد أنفسهم أو ضد الآخرين، ننتقل إلى شكل آخر من العنف، إنما لا يقوم به الأطفال أنفسهم تجاه أنفسهم بل عنف الآخرين عليهم مما يتحولون فيه إلى ضحايا الراشدين من أهلهم أو القائمين على تنشئتهم داخل أصغر وأهم خلية اجتماعية (ألا وهي الأسرة) لا جرم بعد هذا التوضيح عن عنف الأطفال أن ندلف إلى طرح بعض المحاولات التنظيرية التي قدمها بعض الباحثين المهتمين به.

إنما يعكس عنف الأبوين على الأطفال في المجتمع الغربي على شكل نماذج تأويلية للسلوك العنفي الذي يمارس داخل الأسرة من قبل الأبوين على الأبناء وهي:

2/د-2- النموذج المرحلي transitional model

طرح وولف 1987 نموذجاً نظرياً وصف فيه الصراع أو الخلاف المتأزم الذي يحصل بين الأبوين وطفلهما مستخدمين فيه الإيذاء الجسدي في معاقبته عندما لا يستجيب لتوجيهاتهم أولا يطيع أوامرهم عندما ينشؤون تنشئة حسب الضوابط الأسرية المرعية، ومع استمرار هذه الحالة تبدأ البنية الأسرية من هذا المنطلق بالتصدع وعدم التوازن في موازينها وقواها.

استطاع وولف أن يبني نموذجه النظري على ثلاث دعائم مرحلية يتبلور فيها العنف الأسري تجاه الأطفال من قبل الأبوين وهي ما يلي:

1. **المرحلة الأولى (مرحلة اضطراب توازن مسؤولية تنشئة الأبوين)** تبرز فيها ضغوط أو عقبات أو مشكلات مالية أو علائقية أو مهنية غير متوقعة، لم يتهيأ لها الأبوان لمواجهتها لكونها حصلت بشكل مفاجئ ودون مقدمات، فتصدمهما لدرجة يكونان فيها غير قادرين على الصمود أمامها فيرتكبان ويضطربان في مواجهتها بحيث تتعبهما وترهقهما نفسياً واجتماعياً وأحياناً

2. **المرحلة الثانية (مرحلة المواجهة الفاشلة)** تبدأ هذه المرحلة من حالة فشل الأبوين فشلاً كبيراً في كيفية مواجهة الصعوبات والأزمات التي تواجههما في مجريات الحياة اليومية وسلوك طفلهما السلبي والعاصي لتوجيهاتهما في مجريات معاً. أي أنهما لا يستطيعان التحكم فيها وتوجيهها لصالحهما على الرغم من أنهم يستخدمان مسؤوليتهما التنشيئية في هذه المواجهة والمعالجة.

وهنا ينظر الأبوان إلى طفلهما على أنه مشاكس وغير مطاوع لهما ويعدانه متحدياً لهم بشكل متعمد ومزدري لأفكارهما وقراراتهما عندئذ يدركوا بأنهما فقدا السيطرة والتحكم على وضعهما الأسري. وإزاء هذا الإدراك يشعران بأن ما حصل في أسرتهما نتج عن سوء معاملتهما في مواجهة هذه الأحداث الضاغطة عليهم وما عليهما إلا أن يتبنيا أسلوباً جديداً في مواجهة ومعالجة الأحداث المتأزمة.

3. المرحلة الثالثة (مرحلة التنافر المتبادل) يظهر في هذه المرحلة لوم الأبوين المتكرر وتأنيبهما لطفلهما الذي لا يستجيب لتوجيهاتهما وضوابطهما التنشيئية بذات الوقت يزداد تذمر الطفل من كثرة تدخل أبويه في سلوكه وطلباته وحريته وشؤونه الخاصة. لا ننسى في هذا الموطن أن نشير إلى ترافق مشاكل مهنية في العمل أو مالية أو علائقية مع هذا التنافر الواضح بين الأبوين وطفلهما في عملية تنشئته مما تضاعف هموم الأبوين وتضيق من وجهة نظرهما وتكرب من مزاجهما لدرجة أنها تجعلهما غير قادرين على رؤية بريق أمل يلوح في أفقهما مما يجعلهما غير قادرين على التحكم في ظروفهما وسلوك ابنها أو ابنتهما السلبي وغير المستجيب لهما. عندئذ

2/ ء- 4- نموذج المعلومات الاجتماعية

بداية لم يخصص هذا النموذج لتنظير الإيذاء الجسدي للطفل بل تم استعارته من أجل الاستعانة به من معرفة العنف الأسري من خلال تجميع معلومات عن معتقدات وقيم الأبوين والبحث عما إذا كان هناك أسلوب أو أساليب مسبقة في معاقبة الأطفال موجودة في الثقافة الاجتماعية لأن ذلك ينفع ويفيد تفسير وتأويل لماذا يستخدم الأبوين السلوك العنفي مع ابنهما في عملية تنشئته. معنى ذلك أنهما يدركا ما يقوما به من إيذاء لابنهما أو لبنتهما. إذن هو مقبول منهما ومن المجتمع واعتباره وسيلة مرشدة وموجهه لسلوك ابنهما نحو أهداف التنشئة الأسرية المقبولة وتمثل بذات الوقت أحد الوسائل النافعة في الامتثال للضوابط الاجتماعية العرفية.

KHlσD ッ

يعرض هذا النموذج أربع مراحل هي:

1. المرحلة الأولى (مرحلة الإدراك والملاحظة) التي تنطوي على تصرف الطفل غير الملم والعارف بما يدور في محيطه الذي يعيش فيه تصرفاً ناقصاً أو خاطئاً الأمر الذي يدفع أحد الأبوين إلى معاقبته واستخدام الإيذاء الجسدي معه، مما يعمل على التشويه وإدراكه لما يدور حوله. أي يحجمان ملاحظاته وإدراكه أو إدراكاته فيجعلانه أقل دراية ومعرفة بالأحداث التي تقع وتحدث أمامه خوفاً من الإيذاء الجسدي الذي قد يستخدمه أبويه. بمعنى أن الطفل يمتلك إدراكات مفتوحة وحيوية وتواقه وطموحه لمعرفة ما يدور حوله من أحداث، وهذا أمر طبيعي وصحي. لكن عندما يقوم الأبوان بمعاقبته لأنه مدفوع بدافع الفضول المعرفي والتعرف على كل شيء موجود حوله فإن منعه أو إيذاءه على فضوله أو طموحه الطبيعي يكون أمراً سيئاً وسلبياً على مستويين: الأول: إيلام الطفل جسدياً، والثاني: تقليص أو تحجيم مداركه

2. المرحلة الثانية: من هذه المرحلة تظهر التأويلات والتقييمات والتوقعات، عندئذ يبدأ الأبوان بمقارنة الإيذاء الجسدي بعدمه أمام عدم امتثال أو مطاوعة الطفل لتوجيهاتهما أو أوامرهما أو ضوابطها بذات الوقت يفسر سلوك طفلهما غير المطاوع معبراً عن تعمده المقصود والعدواني لذا فإنه (أي الطفل) يستحق اللوم، وعند تكراره (أي تكرار سلوكه غير المستجيب لضوابطهما) فإنهما يتوقعان منه بأنه سوف يزيد من عدم استجابته وعدم مطاوعته لهما فيزيدان من إيذائه الجسدي لكي لا يصل إلى ما يتوقعان أن يصل إليه سلوك طفلهما.

3. **المرحلة الثالثة (مرحلة انتقاء الاستجابة)** تفضي هذه المرحلة إلى مقارنة الأبوين حالة الأبوين اللذين لا يستخدمان الإيذاء الجسدي مع طفلهما غير المطاوع لضوابطهما وأوامرهما مع الأبوين اللذين يستخدمانه ويلاحظان الفرق بينهما من أجل مساعدتهما في اتخاذ قرار(الإيذاء أو عدمه) فيما يخص عدم مطاوعة طفلهما لما يأمران به ثم يتعمقان في جمع معلومات عن الوضعية التي لم يطاوع ابنهما لأوامرهما ويقارناها مع الوضعية التي لم يتخذ الأبوان فيها الإيذاء الجسدي مع ابنهم. لكن على الرغم من ذلك فإنهما يهملان المعلومات المهمة ويركزان على التي تميل إلى أيذاء طفلهما جسدياً.

4. **المرحلة الرابعة (مرحلة استجابة التوجيه والإرشاد)** هنا يتطلب معرفة قابلية الأبوان في انتقاء طريقة أو أسلوب جديد لكي يغيروا سلوك طفلهما غير المطاوع فينتقون أسلوب الإرشاد والتوعية والنصائح لأرقاء وتوسيع مدارك طفلهما وتعليمة وسائل توجيهية غير عقابية هادفين من ذلك إزالة كربهم الذي حصل لهم من عدم مطاوعة ابنهم لضوابطهم وأوامرهم ولتعديل سلوكه من عدم المطاوعة إلى المطاوعة.وإذا لم يستخدما هذا الأسلوب، فإن أداءهم التنشيئي يكون فاشلاً ومشوهاً ومتميزاً لاستخدام العنف الأسري مع طفلهم، وهنا لا يحصل علاج أو تصحيح للسلوك المعارض والمشاكس لضوابطهم لأنهم لم يجمعوا معلومات كافية عن الأسباب التي جعلت ابنهم يسلك سلوكاً عاصياً أو متمرداً أو مشاكساً لضوابطهم وأوامرهم وتوجيهاتهم (Milner

وعلى الجملة فإن هذا النموذج يعبر عن ارتباط عدم مطاوعة الطفل في تصرفاته لضوابط وأوامر الأبوين ارتباطاً ميكانيكياً فالأخير يعكس صورة الأول لكن إذا كان الأخير متصلباً في قراراته أو مقلاً في تعمقه لمعرفة جوانب عدم مطاوعة ابنهما، لهم فإن ذلك يؤدي إلى استخدامهما العنف معه وإيذاءه جسدياً. علاوة على ذلك فإن هذا النموذج يوضح حالة اقتداء الأبوين لأبوين آخرين من عنف أبنائهم عندما يقارنون حالتهم مع حالات مشابهة أخرى. معنى ذلك أن إيذاء الطفل جسدياً لا يرجع فقط إلى سبب عدم مطاوعة الطفل لهم بل إلى اقتداء الأبوين لحالات مشابهة تحصل عند أسر أخرى.

لقد عرضنا ما تم تنظيره وتحليله في المجتمع الغربي. بيد أن هناك حالة يتميز بها المجتمع الخليجي العربي عن باقي المجتمعات الأخرى وهي إيذاء الأطفال الخليجيين من قبل المربيات والخادمات الأجنبيات المستقدمات من دول جنوب شرق آسيا واستخدامهم في تربية الأطفال الخليجيين، وللمعلومة أن هذا الاستقدام لا يتم بسبب تخصص فتيات أو نساء جنوب شرق آسيا بتربية الأطفال بشكل علمي أو صحي أو تربوي بل بسبب الترف المالي وعدم التزام الأم الخليجية بدورها التنشيئي الأسري، وعلى الرغم من معرفة الأسرة الخليجية بمضار ومساوئ هذه التربية المهنية إلا أنها تمارس في معظم الأسر الخليجية (مثل اختلاف اللغة والدين والعادات والخلفية الأسرية للمربية وعدم خبرتها في تربية الأطفال- وأحياناً تكون

هذا العنف الجسدي للطفلة لم يصدر من الأبوين بشكل مباشر بل من العاملة المنزلية. تأويلي لهذا الحادث - كباحث اجتماعي- أقول بأن هناك نوعاً جديداً من العنف الأسري يمارسه الأبوان بشكل غير مباشر وتحديداً من قبل الأم مضمونه عدم تحمل الأم الخليجية مسؤوليتها في تربية أطفالها وتوكيلها للعاملة المنزلية الغريبة عنها وعن ثقافتها ودينها ولغتها وهذا يمثل التخلي عن مسؤولية طبيعية لكل أم إلى إنسانة غريبة في طبيعتها عن الطفل المكلفة في تربيته، وإخضاع الطفل لتنشئة خالية من الرباط الأمومي- القرابي الخاص بالأمومة فضلاً عن حرمان الطفل من رعاية الأم وإشعاره بأموميتها علاوة على إخضاع الطفل للعيش في عالمين أو محيطين مختلفين في وقت واحد، وهما عالم العاملة المنزلية الأجنبية في ثقافتها، وعالم الأم المتجردة من أمومتها، كل ذلك يؤول إلى تحويل عاطفة الطفل لغير الأم. في الواقع تبلور هذه الحالة عنفاً جديداً نحو الطفل الذي لا تتضمن الضرب الجسدي أو التجريح اللفظي بل الحرمان العاطفي، وتوهين الرباط الدموي الطبيعي الذي ينشأ منذ تكوينه جنيناً في رحم أمه، وإزاء ذلك أستطيع تسميته (بالعنف الأمومي الذي لا يأخذ الضرب بل الإيذاء الرباطي الذي يأخذ شكل عدم الالتزام بالرباط الدموي المؤدي فيما بعد إلى وهن في التماسك الأسري واقرب إلى التفكك الأسري بسب هبوط حرارة العلاقات الأسرية، أعني البرود والفتور وعدم التشوق واللامبالاة وعدم الحرص. فهو إذن عنف علائقي يؤذي تماسك الأسرة وعاطفة الطفل وتعلقه الأسري الذي نتج عن عدم التزام الأم الخليجية بأمومتها.

<u>تدريبات</u>

اشرح نموذج المعلومات الاجتماعية لتأويل السلوك العنفي داخل الأسرة؟

اشرح النموذج المرحلي لتأويل السلوك العنفي داخل الأسرة؟

وضح أشكال عنف الأطفال؟

المحاضرة الثانية عشر

الايذاء الجسدي للطفل

عناصر المحاضرة

- **المتغيرات المسبقة والمصاحبة للإيذاء الجسدي للطفل.**
- **الآثار التالية (النفسية والعلائقية) على الطفل المؤذي جسديا:**
  - **الايذاء النفسي.**
  - **الايذاء اللفظي.**
  - **سوء معاملة المراهقين.**

المتغيرات المسبقة والمصاحبة للإيذاء الجسدي للطفل

من باب الإغناء والإفاضة والتحديد الدقيق وعطفاً عما تقدم نميط اللثام عن حقائق تسبق وتصاحب الإيذاء الجسدي للطفل من قبل أحد الأبوين أو من كليهما، وهي الضرب (باليد أو بالعصا) أو الحبس أو القرص أو الكي (إيذاء جسدي) أو الحرمان أو التوبيخ أو التهديد (عنف لفظي) يصدر من أب أو أم لطفلهما الذي جاهدا وكابدا في إنجابه وتربيته، وقد يكون تتويجاً لزواجهما يواجه بهذا الأسلوب القسري والقمعي عندما لا يستجيب لطلباتهما أو ضوابطهما أو توجيهاتهما. أقول ليس من المعقول أن يؤذي الأبوان طفلهما اللذين تزوجا من أجله أي من أجل تخليدهما في الحياة بعد وفاتهما. أما هدفهما فهو تطبيعه بطبائعهما فقط، علماً بأن أسلوب الإيذاء لا ينفع دائماً بل مؤقتاً ومرحلياً، لأنه يخلق مضاعفات سلوكية مزمنة تنعكس سلباً على الجميع (الأبوين والابن أو البنت) إلا أن هناك أسباباً تجعل الأبوين يميلان لإيذاء طفلهما، استطعنا تلخيصها بثلاث مجموعات وهي:

1. مجموعة المحيط الأسري للطفل.
2. مجموعة الخلفية الأسرية للأبوين.
3. مجموعة صحة الطفل الجسدية والنفسية.

1. مجموعة المحيط الأسري للطفل:

1- **التفكك الأسري:** الذي يتضمن وفاة أو غياب أحد الأبوين أو حدوث شجار مستمر بين الأبوين أو وجود طلاق مستتر (صامت) بينهما الأمر الذي يجعل محيط الأسرة متوتراً أو ناقصاً في أداء مسؤوليته التنشيئية يتحمل الأب وحده أو الأم وحدها المسؤولية المنزلية والتنشيئية وشؤون الأسرة، مما يجعله أو يجعلها فاقدة السيطرة في إدارة المنزل والأسرة مما يدفعها إلى استخدام العنف الأسري مع جميع أفراد الأسرة بما فيها الطفل إذا لم يستجيبوا لطلباتها وأوامرها أو ضوابطها.

2- إدمان أحد الأبوين على تناول المسكرات أو المخدرات. هذا المتغير يعد من أقوى المؤثرات على استخدام الإيذاء الجسدي للطفل عندما لا يستجيب لأوامر المدخن.

3- العزلة الاجتماعية والعيش منفرداً بعيداً عن الاحتكاك الأسري أو القرابي أو الاجتماعي لأنه يبلور توحشاً وتصلباً وقساوة في التعامل والتفاعل الرمزي والاجتماعي مع الطفل المحتاج إلى التفاعل الإيجابي المستمر الذي يخلق جواً دافئاً ومتفاهماً وواضحاً في استواء شخصية الطفل وهو في بداية تنشئته.

4- التفاعل السلبي بين الأبوين والطفل. أي إهماله وعدم الاكتراث به أو تفهم احتياجاته الذاتية والشخصية والاجتماعية بل إسماعه عبارات قاسية وسيئة تعبر عن عدوانيتهم اللفظية معه وعدم إحساسه أو إشعاره بالمحبة والشعور الدافئ الرعاية الأبوية أو الأمومية عندما يحتاج إلى مساعدة الأكبر منه سناً والأكثر منه خبرة، أو عدم قضاء وقت ممتع معه في إجازة، أو أخذه إلى مناطق ترفيهية أو الاستماع إلى شكاوية أو مشاكله أو مشاعره أو اللعب معه. بتعبير آخر، لا يستجيبون له، وهنا يؤدي عدم استجابة الأبوين لطفلهما إلى عدم استجابة طفلهما لضوابطهما وأوامرهما وإرشاداتهما أو لكل فعل رد فعل مساوٍ له بالقوة ومعاكس له بالاتجاه.

5- استخدام الإيذاء الجسدي كوسيلة للسيطرة على سلوك الطفل والتحكم فيه طبقاً لمزاجهم ومصلحتهم لاعتقادهم بأن العقوبة أفضل وسيلة لتأديبه.

6- استخدام الأبوين الاعتداء والإيذاء الجسدي المتنوع مع طفلهما مثل القرص أو العض أو الركل أو الضرب أو الفلقة وسواها.

2. مجموعة الخلفية الأسرية للأبوين:

هذه المجموعة من المتغيرات ترجع جذورها إلى الخلفية التاريخية والتنشيئية للأبوين قبل زواجهما ولا علاقة لها بالمحيط الأسري المعاش إنما تحرك أو تثير موقف الأبوين في تربية طفلهما وتمس دوافع مستترة أو باطنية تتحرك عند إثارتها من المجموعة الأولى أو الثالثة من المتغيرات وهي:

1. الحرمان والقسوة التنشيئية التي عاش في ظلها أحد الأبوين في تنشئتهما الأسرية الأمر الذي دعاهما إلى استخدام العنف مع أبنائهما في تربيتهم له.
2. خضوع أحد الأبوين أو كليهما للإيذاء الجسدي في أسرته عند طفولته مما جعل استخدامه مع أطفاله استمراراً لحياته الماضية.
3. مشاهدة مواقف ومشاهد عنفية مارسها والده مع والدته أثناء طفولته أو طفولتها.
4. لم ينشأ أحد الأبوين في أسرة ذات تواصل مستمر وإن وجد، فإنه يكون من النوع السلبي بل عاش في جو مشحون بالاستقلالية وشخصيته تفتقر إلى المودة والتآزر والتضامن الأسري.
5. سبق لأحد الأبوين أن عاش في جو أسري يشوبه عدم وضوح الأدوار الأسرية.

3. مجموعة صحة الطفل الجسدية والنفسية:

أما على صعيد الطفل (الضحية) فإن هناك أسباباً تجعله هدفاً للاعتداء الجسدي من قبل أحد والديه أو كليهما:

1. كونه من أطفال الخداج أي ولد قبل أوانه فهو غير ناضج.
2. ولد ناقص الوزن.
3. ولد معوقاً جسدياً (خلقياً)
4. ولد ذا مزاج غير سوي (غير طبيعي) بسبب الأمراض النفسية التي كانت تعاني منها أمه أثناء حملها به.

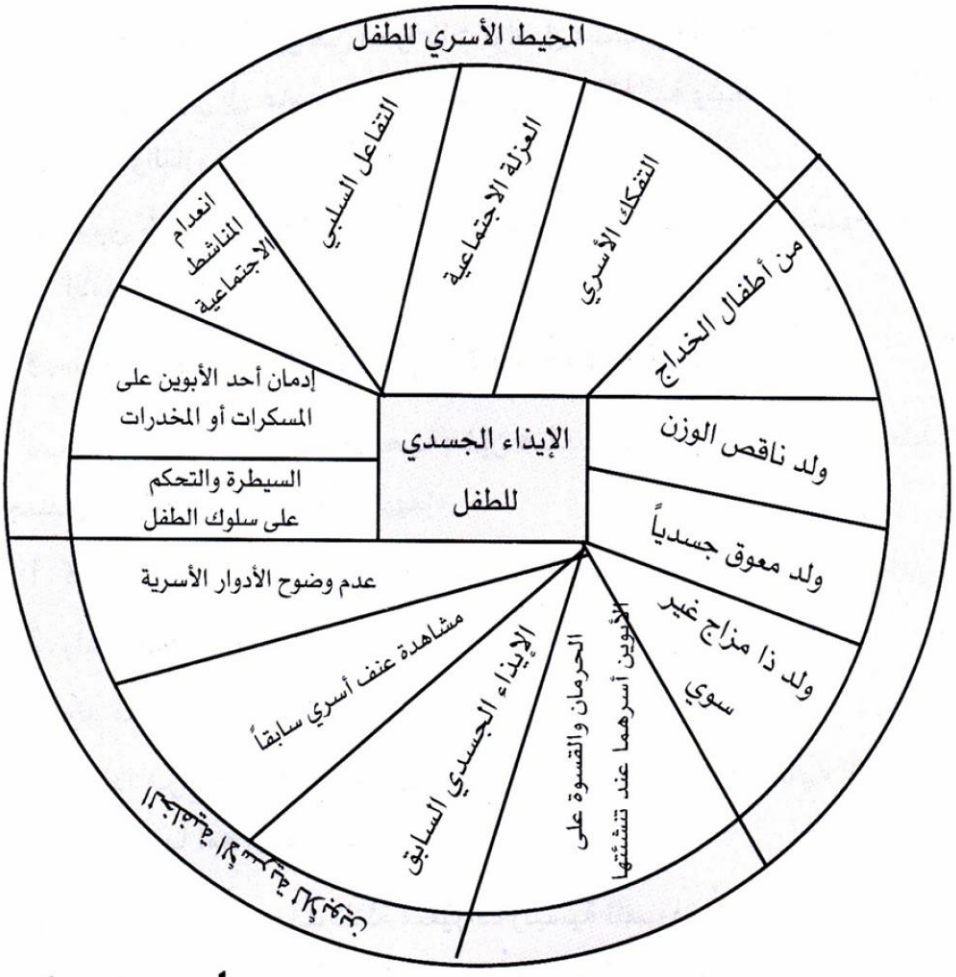

شكل يوضح المتغيرات الرئيسية المتفاعلة في بلورة إيذاء الطفل جسدياً من قبل أحد الأبوين

الآثار التالية (النفسية والعلائقية) على الطفل المؤذي جسديا

2/-و الآثار التالية (النفسية والعلائقية) على الطفل المؤذى جسدياً

ذكرنا سالفاً بأن الأسباب المحيطة والخلفية الأسرية والحالة الصحية للطفل تتفاعل بعضها مع بعض في ظل إيقاعات نبض الحياة الاجتماعية اليومية لاعبة دوراً واضحاً في تشكيل شخصية الطفل، نامية مع نموها ومع تقدم عمره. بحيث يمارسها في تفاعله مع أترابه وأسرته عبر مراحل عمره وفي علائقه الاجتماعية، بعضها ترافقه إلى نهاية حياته. بتعبير آخر، إن الإيذاء الجسدي للطفل من قبل الأبوين لا يختفي بانتهاء فعله بل يمسي مفعوله النفسي والعلائقي ظاهراً ومؤدياً بعد مفعوله الجسدي وهذا ما يهمنا في ميدان علم النفس والاجتماع والإجرام لأنه ذو دلالات تالية سلبية ومرضية تمثل آثاراً جارحة على نفسية الطفل، لا يستطيع

على التعايش الاجتماعي السوي بسبب هذه الآثار السلبية التي يصاب بها الطفل المؤذى جسدياً عند الكبر وهي ما يليك

1. الإفراط في النشاط السلوكي بشكل ملحوظ يفوق الفرد العادي.
2. اضطراب في نومه
3. يعاني من قلق دائم
4. يشعر باحتقار ذاته وبنقص عندما يلتقي مع أقران أسوياء
5. يميل للانعزال عن الأفراد ولا يرغب بالتواصل معهم
6. يميل للعدوان في تعامله مع الآخرين لكي يجبرهم على مجاملته أو عدم إهماله أو عدم تجنبه.
7. عدم نضجه عاطفياً وغير قادر على الإفصاح عن عواطفه..
8. يميل للانحراف السلوكي
9. يكون مزعجاً لأقرانه يجلب لهم الكرب والغم والضيق ويتهجم عليهم من أجل إغاظتهم.
10. قليل الثقة بنفسه عندما يواجه أحداثاً جديدة عليه لدرجة لا يستطيع السيطرة عليها أو التحكم فيها.
11. هبوط ونقص في استيعاب الأدوار الاجتماعية التي يتطلب منه ممارستها.
12. عدائي في أسلوب تعامله مع الآخرين.
13. يعالج المشاكل التي يواجهها بشكل عدائي.
14. يمسي مدمناً على المسكرات إذا كان إيذاؤه الجسدي آخذاً فترة طويلة في

2/ و – الإيذاء النفسي Psychological abuse

بعد أن فرغنا من توضيح الإيذاء الجسدي الذي يقع على الأطفال من قبل أحد الأبوين أو كليهما، ندلف إلى مدار آخر من الإيذاء (الذي يمثل أحد أوجه العنف الأسري) ألا وهو الإيذاء النفسي الذي يمارسه أحد الأبوين أو كلاهما على أبنائهما عندما لا يتمثل أو لا يستجيب لأوامرهما أو ضوابطهما كبديل للإيذاء الجسدي الذي يأخذ الأشكال التالية :

1. الخوف المستديم: أي جعل الضحية(الطفل) تشعر بالخوف من المؤذي (الأب أو الأم) بشكل مستمر.
2. الاتكالية المتنامية: بمعنى جعل الضحية معتمدة في أداء مهامها وسلوكها وتفكيرها على المؤذي دون توقف في كل المجالات.
3. تصدع الاعتبار الاجتماعي: الذي يشير إلى جعل الضحية ذات شأن اجتماعي متدن أو مدان لا يلتفت إليها أحد.

هذه الطرق الثلاثة تحصل من خلال ممارسة المؤذي التصرفات التالية مع الضحية :

1. عزل الضحية
2. تقييد حركاتها وطلباتها ومناشطها واتصالاتها.

من أجل:

3. إذلالها وتقليل قيمتها المعنوية وتشويه سمعتها والسخرية منها.
4. إيذاؤها من خلال الغيرة عليها أو الاستحواذ عليها بالكامل وكأنها قطعة مادية مملوكة للمعتدي.
5. اتهامها اتهامات ملفقة.
6. حرمانها مالياً من أجل التحكم بها وبمصيرها.
7. جعلها متكأة على المؤذي اقتصادياً.
8. قمع عواطفها ورفض اتصالاتها العاطفية مع الغير.
9. إنكار وجودها.
10. استجواب مشاعرها ومداركها والطعن في سلامة عقلها. (Murphy, 1993,

2/ و-2 الإيذاء اللفظي verbal abuse

الذي لا يتضمن العزل الاجتماعي أو القمع الوجداني أو الاتهام أو الحرمان المالي أو الاستجواب أو الضرب باليد أو بالعصي أو العض أو القرص، بل يتضمن التعبير عن غضب الأبوين أو أحدهما على مشاكسة ابنهما أو عدم امتثاله لأوامرهما أو ضوابطهما من خلال إطلاق أسماء أو ألقاب عليه توصيمه بوصمة سلبية مخجلة تتحكم فيه وتثبط همته من أجل تقليل شأنه وتصغيره أو تحقيره أو لإثارة الضحك عليه. كل ذلك يؤدي إلى تجريح مشاعره ويقلل من قيمته داخل الأسرة، ويؤثر سلباً على شعوره وتفاعله مع أفراد أسرته فتحصل حواجز نفسية بينه وبين أبويه وهذا أحد أوجه العنف الأسري الذي يمارسه الأبوان أو أحدهما على أبنائهم الذين لا يطيعون توجيهاتهما ولا يأخذون بنصائحهما وضوابطهما العلائقية والأسرية.

2/ز - سوء معاملة المراهقين abuse of adolescents

الحديث عن سوء معاملة المراهقين أو إيذائهم من قبل الأبوين بسبب ردود فعل مشحونة بالعاطفة الجياشة نحوهم من قبل الآخرين، لأنهم غير قادرين على العيش بمفردهم بل بالاعتماد على أبويهم، إنما على الرغم من ذلك فإن موضوع سوء معاملتهم مُتجنب من قبل الباحثين والضحايا منهم ممن هم فوق الثانية عشر عاماً ما زالوا معتمدين على والديهم في الرعاية والعناية والعيش. لكن مع تزايد عدد الضحايا من المراهقين في المجتمع ومع وعي الناس بضرورة تغير معاملاتهم لهم من العنيفة إلى الرعائية، وبسبب ما تطبعه في أذهانهم المدارس من وعي وإدراك وتفهم، ولم يبقوا على حالتهم المنسية في أذهانهم المدارس من وعي وإدراك وتفهم لم يبقوا على حالتهم المنسية ولم يسكتوا عليها الأمر الذي جذب أنظار الباحثين

المراهقون ضحايا الأبوين adolescent victims of parents

في حالات كثيرة يعاقب الأبوان أبناءهم بالضرب بحيث يتركوا أحياناً آثاراً جارحة على أجسامهم وتزداد – تلك العقوبات الجسدية– كلما تقدم عمرهم بل والعقاب يكثف قوة وعنفاً كلما كبروا في أعمارهم وكبرت أجسامهم. ولما كانت مرحلة المراهقة تمثل حالة تحولات فسيولوجية ونفسية واجتماعية، فإن المراهق لا يكون قادراً على التحكم فيها لدرجة تجنحه عن ضوابط والديه بدون وعي منه، عندئذ يحصل على عقاب جسدي منه يجعله يهرب من منزل أبويه، وعندما يقع تحت طائلة القانون يوصم بوصمة سلبية تدفعه بشكل غير مباشر إلى الجنوح، لا سيما وأن المراهق يكون حساساً ومنطوياً على نفسه مما يدفعه ذلك إلى المبالغة في تصورات وأحاسيس سوداوية تجاه والديه. علماً بأن أغلب الحالات التي تدل على سوء المعاملة تكون عند الشريحة العمرية للمراهقين التي تتراوح بين 15–18 عاماً وعندما تتم إساءة معاملتهم من قبل أبويهم لا يبلغون عنها إلا بعد فترة من الزمن، أي ليست في حينها. جدير بذكره أن عنف المراهقين غالباً ما يكون امتداداً واستمراراً لعنف الطفولة الذي كان يمارس عليه في أسرته. وللمعلومة أن هناك

مليون مراهق يهرب سنوياً من أسرته في المجتمع الأمريكي بسبب سوء معاملته من قبل والديه (pagelow, 1984,p.355) ولا جناح من الإشارة في هذا المقام إلى أن سوء معاملة المراهق ترجع بالدرجة الأساس إلى الفجوة الجيلية بين الأبوين والأبناء التي لا يحصل فيها تفاهم وانسجام بينهما مما يؤول في نهاية الأمر إلى استخدام العقوبات المادية والعلائقية ثم الجسدية مما يزيد من سعة الفجوة بينهما.

ضحايا المراهقين من قبل الآخرين (غير أفراد الأسرة)

adolescent victims of others outside the family

لا يهرب جميع المراهقين في المجتمع الأمريكي من والديهم ومنازلهم بسبب سوء معاملة والديهم لهم بل بسبب طرد والديهم لهم من العيش معهم في نفس المنزل سواء كان ذلك بشكل صريح ومباشر أو تلميحاً (بشكل غير مباشر) وهناك بعض الشباب يترك العيش مع أسرته بسبب رغبته في العيش بعيداً عنها لكي يستقل اقتصادياً واجتماعياً ويجرب المغامرة بمفرده دون الاتكاء على أحد، بل العديد منهم لا يريد أن يستمر فى تواصله مع أسرته لأنها عاجزة في حل مشاكلها أو أنها تحلها

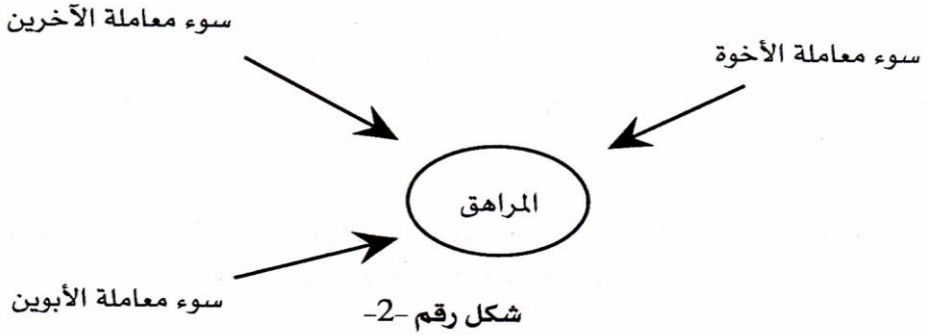

شكل رقم -2-

إن سوء المعاملة سواء كان في التنشئة الأسرية أو في غيرها تؤدي إلى ردود فعل سلبية منها العنف، وكما نعلم أن العنف يولد العنف كرد فعل له ولما كان هناك تفاوت في العمر والقوة الجسدية بين الأخوة فإن الكبير يستغل الأصغر والقوي يؤذي الضعيف. ولما كان الأبوين مسؤولين عن تنشئة أبنائهم فإن إساءتهما تؤدي إلى تحويل النشئ إلى ضحية قد تتحول إلى عنصر عنيف انتقاماً لما حصل لها داخل المحيط الذي جرى عليها الإساءة، أو قد تحوله إلى ذاتها (عنف داخلي) يكون على

تدريبات

- **عدد الآثار السلبية التي يصاب بها الطفل المؤذي جسديا**
- **وضح تأثير التفكك الأسري / الخلفية الأسرية للأبوين على الطفل**

المحاضرة الثالثة عشر

إيذاء المسنين وإهمالهم

إيذاء المسنين وإهمالهم

من المشاكل الأسرية - الاجتماعية المعاصرة في أدبيات وبحوث علم الاجتماع الحديث هي عدم معاملة المتقدم بالسن من قبل أفراد أسرته معاملة سمحة وكريمة ومحترمة. ورب سائل يسأل لماذا وكيف انتبه الباحثون في علم الاجتماع الآن إلى هذا الإيذاء لهذه الشريحة العمرية، ولم ينتبهوا إليها سابقاً؟ هل هو راجع إلى دوافع مصلحيه مادية أم إنسانية أم دينية أم أخلاقية أم ماذا؟ وهل هذا الاهتمام سائد عند جميع علماء الاجتماع في كافة المجتمعات الإنسانية؟ بدوية ريفية، حضرية، صناعية، معلوماتية أم يرجع إلى عوامل أخرى.

للإجابة على هذه التساؤلات المشروعة نرجع إلى الحالات التي واجهها الباحثون في شؤون الأسرة في المجتمع الأمريكي المعاصر التي سبقت اهتمامهم بالشريحة العمرية المسنة وفتحت لهم الأبواب للدخول إليها والتعرف على أوضاعها الصحية والاجتماعية والنفسية والمالية، ومعالجة مشاكلها التي تعاني منها، وهي أنه في العقد السادس من القرن العشرين برز اهتمام الباحثين بظاهرة إيذاء الأطفال وإهمالهم. وفي العقد السابع من القرن ذاته ظهر اهتمام الباحثين بظاهرة ضرب وإيذاء المرأة وتسليط الضياء عليها والدفاع عنها، وفي أواخر العقد السابع من القرن نفسه ومع بداية العقد الثامن كرست بحوث عديدة اهتمامها عن إيذاء الطفل وإهماله وعن ضرب المرأة بشكل يلفت النظر.

إن سياق الحديث يلزمني أن لا أغفل تدخل عدة اختصاصات اجتماعية ومؤسسات إنسانية لدراسة واقع إيذاء المسنين وإهمالهم من قبل الأسرة والمجتمع مثل الممرضات والأطباء والأخصائيين والاجتماعيين والمحاميين وضباط الشرطة ودوائر إطفاء الحريق والجيران والأقارب وهيئة المحكمة ومراكز الصحة العقلية في المجتمع المحلي وبرامج التغذية التي توصل الغذاء إلى المنازل والمحللين النفسانيين والمستشفيات والتمريض المنزلي ومحاكم إثبات صحة الوصية. جميعهم يهدفون تقديم رعاية وعناية طبية وصحية وغذائية وسكنية للمسن كل حسب اختصاصه وبالذات مع المسنين الذين يعيشون في منازلهم لأنهم يحتاجون إلى العون بدءاً بالعناية الغذائية والدوائية والكسائية والنظافية والتنظيمية، وأدائية خارج المنزل مثل التسوق أو مراجعة العيادات الطبية أو إصلاح أضرار منزلية وسواها.

ثم هناك مساعدات تأتي من الجانب الاجتماعي غير الرسمي مثل الأصدقاء والجيران الذين يقومون بالتسوق للمسن وتوصيله بسياراتهم إلى المحلات التي يحتاج الذهاب إليها أو الالتزام بمواعيد رسمية أو طبية. ثم أن هناك معنيين دائمين أو لفترة محددة من ساعات النهار إذ هناك الوصي guardian والقيم conservator الصائن لراحته وصحته. وهم يقومون بتعليم المسن حقوقه المدنية والقانونية التي تحمي مصالحه فضلاً عن تعليمه كيفية أخذ أدويته أو تدريبه على استخدام الكرسي المتحرك أو بعض الأجهزة الطبية التي يحتاجها، وتعليمه كيف يدافع عن نفسه كل ذلك يجعله يعتمد على نفسه ويقلل من اعتماده على الوصي أو القيم المعتني به. جدير بذكره أن الحكومات الغربية تمنح المسن هوية أو بطاقة شخصية يستخدمها عندما يركب القاطرات والحافلات لتعفيه من رسوم استخدامها، وهناك مطاعم ومحلات ملابس تعمل تخفيضاً خاصاً لهم.

هذه الاهتمامات البحثية نبهت ولفتت انتباه الباحثين إلى وجود حالة مشابهة لما يدرسونها ويبحثون فيها وهي إهمال المسن والتعامل الخشن والقاسي الذي يتم مع المسن وهو يعيش مع أفراد أسرته وليس في مراكز إيواء المسنين. علاوة على ذلك كانت هناك شكاوى من بعض أفراد المجتمع المحلي تطالب الاهتمام بهؤلاء الأفراد الذين خدموا المجتمع ووصلوا إلى عمر عاجزوا بعده عن الإسهام بالعملية الإنتاجية والتأثير على مصالح المجتمع، الأمر الذي أقعدهم في منازلهم غير قادرين على العمل المستمر وهم في صحة معلولة لا تطيق أو لا تتحمل أعباء الحياة المهنية أو تعقيدات الحياة اليومية ومواجهة متطلباتها المتعددة والمتنوعة. فضلاً عن عدم وجود وقت كاف لأفراد أسرهم بالبقاء معهم والعناية بهم بسبب العمل خارج المنزل لمدة ثمانية ساعات يومياً(على الأقل) لهذا السبب يكونون مضطرين لإهمالهم أو عدم التفرغ لهم والعناية بهم. كل ذلك جعل المسؤولين عن إدارة المجتمع المحلي بإقامة مؤتمر أو ندوة خاصة بدراسة أوضاع المسنين الذين يعيشون في وسط مجتمعهم ومن خلال ذلك توصلوا إلى إقرار مشروع إستراتيجي يتدخل في معالجة الظاهرة السلبية التي يعيشها المسن وتقديم العون له سواء أكان ذلك من منزله – أسرته أو في مراكز لإيواء المسنين ولم يستوعبوا وضع المعتني Cavergiver الذي يكون من أحد أفراد أسرة المسن أو أحد أقاربه أو معارفه التي تتضمن طاقة وجهداً محدوداً لا يستطيع صاحبها (المعتني) أن يقدم أو يعالج الطلبات والخدمات بشكل مستمر للمسن لأنه (أي المعتني) يصل إلى درجة الإجهاد والتعب من جراء ذلك، ولا سيما وأن المسن تكون طلباته متكررة بجانب عناده وعدم رضاه عن أي شيء وعدم قدرته على الاهتمام بنظافته وتلبية احتياجاته.

هذا من جانب ومن جانب آخر يتعرض المسن - أحيانا- إلى الإيذاء الجسدي القاسي من أحد أقاربه الطامعين فيما يملك من مال أو مقتنيات فيحاول سرقته بحجة العناية به وهذا غالباً ما يحصل.

جميع هذه الأحداث القاسية جلبت انتباه واهتمام الباحثين المهتمين بالشؤون الأسرية والسلوك العنيف بجانب علماء الإجرام إلى تناولها في الدراسة والعلاج (علماًبأن مثل هذه الأحداث التي تقع للمسن لم تكن سائدة بشكل منتشر في المجتمع التقليدي والمحافظ).

1. إنكار الناس لها أو تقليص حجم وجودها وتقليل خطواتها، إلا أنهم لم يستمروا على هذا الإنكار والتقليل بل تدرجوا نحو الاعتراف بها وعدم إنكارها وقبولها على أنها مشكلة قائمة وعليهم ألا ينظروا إليها على أنها عابرة ومؤقتة ومحدودة التأثير وصغيرة الحجم بل هي قائمة ومتنامية وأنها ستستمر وتصيبنا جميعاً دون استثناء، لأننا نتقدم بالسن ونصل إلى سن 65 ونواجه نفس الصعاب والمشكلات والعلل الصحية والنفسية والفاقة المادية والعزلة الاجتماعية والإهمال المجتمعي والمؤسسي. أقول أنها حتمية عمرية تلوح بالأفق ومتوقعة الحدوث في مستقبلنا يواجهها كل إنسان وصل إلى سن 65 أو من تجاوزه.

2. الاستجابة الثانية تنظر إلى المعتدي على المتقدمين بالسن بأنهم مخرفون وغير أسوياء. فالمجتمعات التقليدية والمحافظة تنظر إلى رب الأسرة على أنه المالك الشرعي للأسرة والمسموح له بالسيطرة والتحكم في شؤونها وتوجيه أبنائها واحترامه وتقدير آرائه ونصائحه الأمر الذي يستدعي من الأبناء العناية به ورعايته كما اعتنى بهم ورعاهم في طفولتهم. والأبناء قد يضربون نساءهم أو أطفالهم ويكون ذلك مقبولاً اجتماعياً وأسرياً، إنما إهمال أو إيذاء المسنين لا يقبل من قبل المجتمع أبداً فضلاً عن كونه محظوراً دينياً وممنوعاً اجتماعياً.

3. الاستجابة الثالثة تنطوي على معرفتها(سمعاً أو مشاهدة) للتعامل القاسي والخشن الذي يقوم به المعتدي يجعلها توجه لومهم له والمطالبة بتقديم برنامج يقوم بمحاسبة المعتدي ومعاقبته طبقاً لما يقوم به من إيذاء أو إهمال أو تعامل قاسي مع المسن، وتحميل المعتدي كل ما يقوم به من إساءة وإيذاء. وجدير بذكره ومن هذا المقام هو أن الطبيب الخاص بعناية المسن يتفاعل مع المعتني وجهاً لوجه لمعرفة تفاصيل العناية والرعاية والاهتمام لذلك يتعاطف أحياناً الطبيب مع المعتني أو الراعي ويقدر عمله ومسؤوليته وبالذات إذا كان المسن لا يعترف بعرفان الجميل الذي يقدمه له المعتني أو الراعي له، إذ أحياناً يسمع المسن للمعتني عبارات خشنة وقاسية ولا يتلفظ بألفاظ رقيقة وشاكرة أو ممنونة، وإزاء ذلك يتعاطف الطبيب مع المعتني لأن المسن غالباً ما يكون نحساً وكثير التذمر والشكاوي ولا يقدرالأمور تقديرها، ومتعدد الطلبات وكثير الإلحاح بأمور تافهة فضلاً عن بطء إدراكه وفهمه للأمور.

4. استجابة المجتمع للمعاملة القاسية والفظة للكبير في السن تكون مقبولة إذا خرج المسن إلى الشوارع يهيم فيها أو يتيه في طرقاتها. أو أن الزوجة تعامله بقسوة انتقاماً وتأثراً منها لما كان يعاملها بخشونة وقسوة وعنف جسدي ولفظي وحرمان مالي، وتحمل الكثير من العجرفة واللوم والشتيمة منه فتضررت كثيراً عندما كان قادراً على العمل ومدركاً لما يقوم به، ومالكاً لقواه العقلية. هنا المجتمع لا يلوم الزوجة أو لا يلوم إيذاء المسن إذا تصرف تصرفاً شاذاً أو مخجلاً أو محرجاً إذا صدر الإيذاء من أحد أفراد أسرته**(Quinn,**

ننتقل بعد ذلك إلى تحديد مفهوم إيذاء أو إهمال المسن إذ له مرئيات متباينة إنما ليست مختلفة. أقول متباينة لأن التحديد القانوني للإيذاء يختلف عن تحديد المجتمع المحلي له، وحتى المجتمعات المحلية متباينة في تحديدها طبقاً لنوعها وطبيعتها. إذ منها ما تكون محددة بدقة وصرامة ومنها ما هي متسامحة في تحديده. لكن يمكن القول على الرغم من هذا التباين بأنه (الإيذاء) فعل متعمد ومغرض يصدر من معتدي. بينما الإهمال يعني فعلاً غير متعمد ومغرض يصدر من شخص تعب وأثقل كاهله بمسؤولية متعبة، لأنه ابتلى برعايته والعناية به. وكما قلت سالفاً أن هذه التحديدات متباينة في مضمونها لكنها ليست مختلفة في نتيجتها لأن كلا الإيذاء والإهمال يؤديان إلى نتيجة واحدة وهي عدم إهمال ورعاية المسن التي تؤول فيما بعد إلى إيذائه نفسياً أو جسدياً أو مالياً أو انتهاكاً لحقوقه المشروعة. آيتي من هذا القول هو أن الإيذاء والإهمال وجهان لعملة واحدة والاختلاف بينهما يرجع إلى التعمد والقصد عند الأول الإيذاء وعدمه عند الثاني الإهمال.

ثم هناك حالة يتعرض لها المسن بحكم عمره المتقدم ووهن صحته وهزال قوة جسمه مثل جفاف البشرة وسوء التغذية وآلام في الأمعاء وثقل في السمع وارتفاع بسيط في درجة حرارة جسمه وعدم التحكم في قبوله. كل ذلك يحتاج إلى رعاية دائمة وقريبة منه لذلك تجعل المسن يتمنى الموت على البقاء على حالته الصحية المعلومة هذه التي أمست وبالاً عليه من كثر إلحاحه وطلباته والالتزام برعايته المستديمة في مجال العناية الصحية والغذائية والدوائية والمكانية (تدفئة أو تبريد الغرفة التي ينام فيها) لذلك تحصل حالات يرفض فيها المسن أخذ مساعدة له من أي شخص لأنه يشعر بأن حالته متردية ومتقدمة نحو الموت، فلماذا يزعج نفسه ويزعج الآخرين الأمر الذي يجعله يجنح نحو إهمال نفسه وإهمال اهتمام المعين أو

KHloD ツ

أخيراً هناك مشاكل عائلية خاصة بعائلة المسن تجعل من العناية به أمرا عسيراً ومضطرباً مع استغلال أحدهم أو بعضهم لما يملك من مال ومقتنيات ولا ننسى حالة المسن الوحيد الذي لا أسرة ولا أصدقاء يقومون برعايته ومعالجته الأمر ويقع كل ذلك على عاتق الطبيب الذى لا يستطيع تغطية كل ذلك بمفرده.

المعتني به. إنها حالة تمثل اليأس والقنوط. وهناك حالات تشمله عناية غامرة من قبل المعتني به ومن الطبيب الخاص به الذي يقدم له النصائح والتوجيهات الصحة والغذائية والتقنية (إذا كان يستخدم أجهزة إلكترونية في علاجه) وإبلاغ أفراد أسرته بها لكي يتم العناية الكاملة به عند غيابة (أي غياب الطبيب) وأحياناً تكون هناك مصلحة ذاتية للقائم على رعايته وصحته وتغذيته والمسن يعلم بذلك ويتقبله ويفضله على الإقامة في دار لإيواء المسنين والعجزة.

نأتي الآن إلى توضيح الإيذاء المالي، الذي يشير إلى امتلاك المسن أموالاً نقدية أو عقارات (منزل أو مزرعة أو عمارة أو شركة) أو مقتنيات نفيسة ونادرة تكون هدفاً للعديد من الأفراد المحيطين به والاتصال اليومي مع الآخرين كما كان قبل شيخوخته وبسبب تقدم عمره وانعزاله اجتماعياً وضعف مداركه وتفكيره وابتعاده عن مجريات الحياة المعاصرة والتغيرات التقنية السريعة تجعله يخضع بسهولة لنصب وإيهام واحتيال الآخرين له، وإقناعه بالتوقيع على أوراق قانونية لا تخدم مصلحته، أو سحب بعض أو جميع أمواله من البنوك لتجريده من أملاكه جميعها دون أن يعلم وذلك عن طريق الإيهام والخداع أو الانتحال أو الإلباس أو الادعاء من قبل أحد أبنائه أو أحفاده أو طبيبه الخاص أو محاميه، أو أي شخص يتعامل معه في حياته اليومية، أي يكون فريسة دسمة وسهلة الاصطياد لأنها ضعيفة الإدراك وقليلة المعرفة بما يحصل من تغيرات سريعة في الأمور والمعاملات البنكية أو تسجيل العقار أو تحويله إلى مالك آخر. مثل هذه الاحتيالات على المسن تصدر من وكيله أو الذي ينوب عنه في اتخاذ القرارات الملكية أو الشخص القيم الذي يمتلك الوصاية عليه أو على أملاكه مثل المحامي أو البنك. من الناحية الواقعية لا توجد

لا جناح من الإشارة إليه في هذا المقام إلى تفشي حالة إهمال المسن في المجتمع المعاصر. إذ مع تقدم المجتمع وتمدنه واشتغال الأبناء خارج المنزل بعيداً عنه واحتياجهم أحياناً لأموال الأبوين أو بسبب طمعهم بها، فإنهم يريدون الاستحواذ عليها. وبما أن المسن بات فرداً غير منتج في الأنشطة الاقتصادية وغير مؤثر على مجريات حياة الأسرة والمجتمع المحلي بل معتمد على الحكومة وعلى الشخص الذي يعتني به شخصياً(صحياً وغذائياً) يحصل له إهمال وإيذاء مثلما يحصل للأطفال في الأسرة. ومن هنا نستطيع القول بأن إهمال وإيذاء الأطفال والمسنين سيان في الأسرة بعد ما كان المسن رمزاً للحكمة والوقار والوجه الناصع لسمعة واعتبار ومكانة الأسرة في المجتمع المحافظ والتقليدي. وأمام هذه الحقيقة المؤلمة والسلبية

لا توجد إحصائيات دقيقة عن إهمال وإيذاء المسن، لأن الناس يختلفون في رأيهم وحكمهم ومعتقدهم عن مفهوم الإيذاء والإهمال ولا توجد بلاغات من الضحية (المسن) تشير إلى الإيذاء والإهمال، إنما يتم معرفته عن طريق الصدفة أو العيادات الطبية أو الغرباء(أي ليست من أقارب المسن).

وللمعلوماتية هناك دراسات ظهرت في العقد السابع والثامن من القرن العشرين عن إيذاء وإهمال المسنين في المجتمع الغربي، أوضحت بأنه لا يوجد فرق جنسي بين المسن والمسنة إذ كلاهما متقدمان بالعمر لهما نفس الأعراض الصحية ويعانون معاناة واحدة. ويعيشون منفردين أما مطلقين أو أرامل أو منفصلين ويكون المعتدي abuser من الأبناء في أغلب الأحيان - أي من الأبناء يكون الوصي caregiver أو القيم على رعاية المسن. أقول أما الابن أو البنت فيقدمان برعاية والدهما المسن أو والدتهما المسنة وهما المسؤولان عن الإهمال أو الإيذاء الذي يحصل له لوالديهما. كذلك وجدت هذه الدراسات بأن هؤلاء المعتتين care giver لهم خلفية سجينة عقابية أي سبق لهم وأن تم الحكم عليهم بالسجن بسبب مخالفتهم للقانون أو كانوا يعانون من أمراض نفسية ثم أدخلوا مستشفى الأمراض النفسية أو العصبية أو يعانون من أمراض صحية مستديمة بذات الوقت معتمدين على أموال المسن أي غير مستقلين مالياً عن الضحية(المسن) وقد صنفتهم هذه الدراسات إلى ثلاثة أصناف من المعتتين المعتدين على المسنين ممن سلبوا راحتهم وصحتهم وهي :

1 . العدوانيون.

2 . المتسلطون.

3 . المعتمدون مالياً على المسن

3 . المعتمدون مالياً على المسن فالمعتنون العدوانيون يكون لديهم مشكلات علائقية طويلة العمق في صلاتهم مع المسن(الضحية) مع والديهم وينظرون إليهم على أنهم مرضى عقلياً يتمنون موتهم. وقد اتضح أن الابن المعتني كان نفسه مُعتدىً عليه عندما كان طفلاً من قبل والديه. أي كان الوالدان يؤذون ابنهم ويقسون عليه ضرباً ولفظاً عندما كان طفلاً صغيراً، والآن بعد ما بات راشداً وتقدم عمر والديه أمسى منتقماً منهما يسومهما سوء العذاب مثلما كان يسوموه عندما كان صغيراً، وغالباً ما يكون متعلماً وناجحاً في عمله إلا أن سوء حظه بات راعي لأبويه العاجزين والمسنين اللذين يعيقان طريق نجاحه ويلوم نفسه على حظه العاثر هذا.

2- الصنف المتسلط: يكون أفراد هذا الصنف من المتزوجين ويعشون بمستوى معاشي مقبول من قبل مجتمعهم المحلي إلا أنهم يكونون متشددين وصارمين وغير متسامحين في تعاملهم مع الآخرين فضلاً عن ميلهم للعقاب والمعاملة القصاصية مع الذين يعيشون معهم أو يكونون تحت رعايتهم أنهم ليسوا بمرضاً عقلياً، إنما عندهم نزعة نحو السيطرة على الآخرين والتلذذ بممارستها عليهم، وعادة ما يكونون متشددين غير مرنين في إدارة شؤون المنزل. أي يكونون دقيقين وحازمين في تربيته والعناية به وعندما يقوموا برعاية والديهم المسنين ينزعون إلى الصرامة والتسلط عليهم دون رحمة ولا يراعون عمرهم المتقدم وأمراضهم المستديمة التي يحملوها أما بتبريرهم لهذه المعاملة الخشنة والقاسية فهي بسبب سوء تنشئتهم في طفولتهم لذلك يعاملوهم وكأنهم أطفال لا يحسنون التصرف ويعاقبوهم عندما يتحدثون (الأبوان) مع الغرباء عن العنف الأسري الذي يمارس عليهم من قبلهم (أي من قبل الأبناء).

الصنف الأخير تلك المعتمدة مالياً على الأبوين المسنين ويعيشون في كنفهم ومعهم في نفس المنزل ويحصلون على مأكلهم وملبسهم و مصروفهم منهم، أو بسبب فقرهم المالي وعدم نضجهم الاجتماعي ولم يحرزوا أية مكانة اقتصادية أو اجتماعية متعلقون بوالديهم كالأطفال أو كما كانوا أطفالاً يعيشون في رعاية وكنف والديهم وليس لديهم أية رغبة أو دافع في تغيير وضعهم المعتمد على الوالدين المسنين في عيشهم فضلاً عن كونهم غير متزوجين وليس لديهم تحصيل دراسي متقدم بل أولي مبتدئ.

وللاقاة هذه الموضوع نسوق السؤال التالي:

لماذا حصلت هذه الإساءة أو الإيذاء الآن، ولم تحصل في الماضي على الرغم من الرقي والتقديم العلمي والصحي والغذائي والسكني.. وما هو وضع المسنين في الوقت الراهن عندما نقارنه مع الماضي؟

لا جرم من القول بأن بسبب الاهتمام بالعناية الطبية والصحية والغذائية زاد من عمر الإنسان وقلل من أمراضه. فالأجيال الماضية كانت العناية الصحية والغذائية لكبار السن طبيعية على الرغم من محدوديتها بينما كانت العناية الاجتماعية والنفسية لهم فائقة وموقرة وذات اعتبار عال مفخم الثقة بالنفس والجاه الاجتماعي والتميز في المكانة الاجتماعية والاحترام المبجل والأمان والمرجعية

الأسرية، فأمسوا رمزاً للخبرة الاجتماعية والنفسية والدينية والصحية والحكمة الوقورة، وممثلاً لاسم العائلة وماضيها واحترامها ومكانتها وعلاقاتها الاجتماعية على الرغم من كونه عنصراً غير منتج اقتصادياً وغير قادر على التنقل السريع والسهل من مكان إلى آخر.

هذا الوضع الاجتماعي والصحي والنفسي لأصحاب الأعمار المتقدمة يسود المجتمعات التقليدية والمحافظة الريفية والدينية والإثنية، للفرد الاجتماعي والاقتصادي والأسري والصحي للمتقدم بالسن. لكن في المجتمعات الصناعية والحضرية والعلمانية والمعلوماتية يختلف تماماً عما هو في المجتمعات التقليدية والمحافظة الريفية والدينية والإثنية لأنه غير منتج اقتصادياً وعنايته أسرياً وحكومياً تكلف مبالغ كثيرة أي يكون دخله قليلاً وكلفة عيشه وعنايته باهظة، فضلاً عن إعاقته لمناشط أبنائه وأحفاده المهنية والاجتماعية، لا سيما وأنه يعيش في مجتمع يعير أهمية كبيرة للغايات المادية والمصالح الشخصية والطموحات الذاتية أكثر بكثير من العلاقات الأسرية والرحمية(صلة الرحم) والإرشاد العائلي والثقافة السلفية والتاريخ العائلي إذ يعتبرها صفحة تمثل الماضي الذي انتهت قراءته وعليه قراءة صفحة جديدة تهم مستقبله وأمانيه. وعلى الجملة يكون وضع المتقدم بالسن في المجتمعات القديمة متميزاً اجتماعياً ومعتنى صحياً، بينما يكون وضعه في المجتمعات الحديثة معتنى به صحياً لكنه مهمل اجتماعياً ونفسياً، وهذا لا نرجعه إلى كونه منتجاً أو غير منتج اقتصادياً بل نرجعه إلى ثقافة مجتمعه في تقديرها والتزامها بالرباط الأسري ووحدة الأسرة بالدرجة الأساس لدرجة أن تكون فيها مكانة أبنائه وأحفاده معتمدة على مكانته الاجتماعية ومع التطور التقني والصحي

وكما ذكرنا آنفاً أن سوء معاملة المسنين تصدر من عدة مصادر ليس فقط من أفراد الأسرة بل من الأطباء والممرضين والممرضات والقائمين على العلاج الطبيعي والمعالجين في منازل المسنين والمؤسسات الرعائية من خلال اهتمامهم في تقديم العلاج في مواعيده، أو كما يجب أو في سلبهم حقوقهم أو في حبسهم داخل الغرف أو عدم الاهتمام بتغذيتهم الخاصة أو تنظيف ملابسهم أو أجساهم. وقد ذكر الباحثة أوليفيرا بأن هناك 50% من ضحايا المسنين يأتون عن طريق سوء معاملتهم نفسياً ولفظياً إذ يلقبون بألقاب سلبية أو سيئة تثير السخرية أو الاستصغار أو الاستهزاء من قبل المقيمين على رعايتهم أو معالجتهم.

هذا إلى جانب معاناتهم المالية وتزوير وصاياهم الخاصة وأسمائهم وسرقة حقوقهم القانونية ومدخراتهم ومقتنياتهم. وأحياناً ينطوي مفهوم الإساءة على لإهمال neglect في التغذية والاعتناء بالنظافة والهندام والإسكان بشكل متعمد لأنهم يمسون عبئاً ثقيلاً ومملاً على الذين يعيشون معهم أو القائمين على رعايتهم والعناية بمعيشتهم لدرجة تصل إلى حالة التذمر من طلباتهم وإلحاحهم وتطفلهم

جدير بذكره في هذا السياق إلى وجود نوعين من الإهمال في أدبيات سوء معاملة المسنين وهما: 1. الإهمال السلبي passive neglect الذي ينطوي على اعتماد المسن على مساعدة الآخرين والمهمل من قبلهم والمتروك لحالة والذي لم تقدم له المواد الغذائية الكافية والمفيدة ولا الملابس النظيفة ولا الأدوية الضرورية بسبب عدم موافقة الشخص المسؤول عن رعايته وعنايته أو عدم قدرة الشخص المسؤول على ذلك.

ب- الإهمال الفاعل active neglectالذي يتضمن الحرمان المعتمد أو المقصود وغالباً ما يحصل المسن على الاثنين معاً، إنما أغلب الإهمال يكون عدم رغبة المقيم على رعايته وعنايته في عدم تقديم الخدمات له.

وعلى الجملة فإن سوء معاملة الأبوين المسنين لا يؤدي إلى عنفهم نحو الآخرين بسبب وهن صحتهم وهزال قواهم الجسدية والعقلية، وإنما يتبلور عندهم عنف واحد وهو عنفهم نحو ذواتهم أي العنف الداخلي inward violence الذي يظهر على شكل عنادهم في عدم الاهتمام بصحتهم وعلاجهم وفي إلحاحهم على تنفيذ طلباتهم التي تعكس كل شيء رتيب وقديم وبال لأنه يعكس راحتهم في ذلك الجو العتيق الذي كان يمثل حياتهم الماضية ويتعارض مع الحياة المعاصرة والمتغيرة. أقول تعلقهم وتمسكهم الشديد بمقتنياتهم وحاجاتهم القديمة التي تمثل نشازاً في وسط التغيرات السريعة والمعاصرة مما بلور تذمراً عند الذين يرعونهم ويعتنون بهم. أما كيف تساء معاملتهم من قبل الراعين لهم والمهتمين برعايتهم فتكون على النحو التالي:

1. التقصير في رعايتهم.
2. التعمد بالتقصير في رعايتهم والعناية بهم من قبل الرعاة.
3. تذمر الراعين والمهتمين من نمط عيش المسنين المتكلس
4. السخرية من عجزهم العمري والعقلي.

انظر شكل −1−

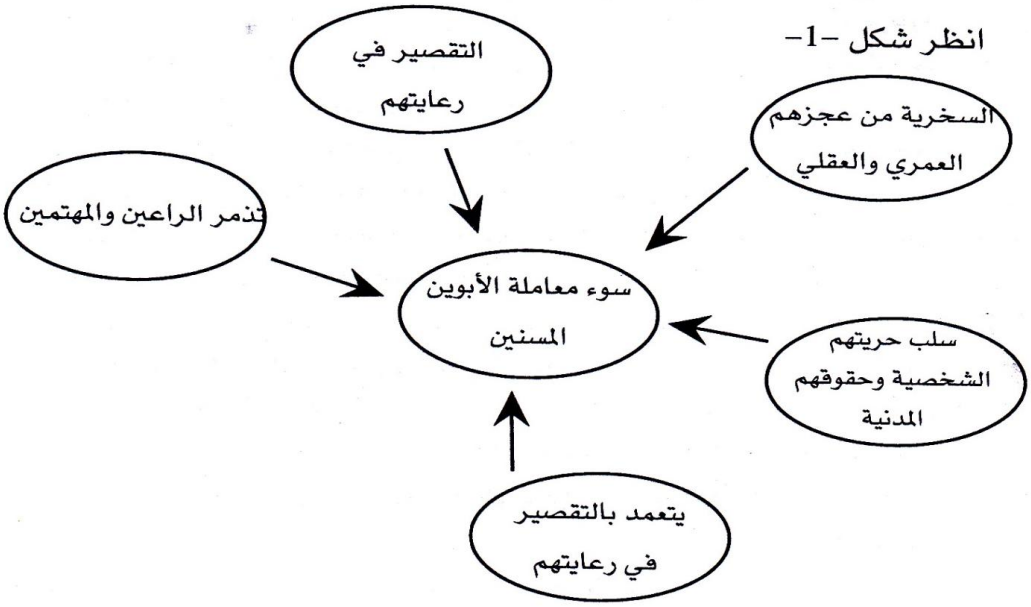

<u>تدريبات</u>

- **اشرح وضع المسنين في الوقت الراهن عند مقارنته مع الماضي**

- **وضح أصناف المعتدين على المسنين**

- **اذكر أنواع وأشكال إهمال معاملة المسنين**